رواية

هذيان

سعيد سالم

وديع الهجـــين

****

هنيئا لك أيها المشرك الفاجر بغنيمتك التى سرقتها أنت وأبوك العميد عنوة منى بلا وجه حق.ستدفع الثمن غاليا أنت وقبيلتك. تعلم جيدا أننى أنا الأولى بدرجة المعيد بحكم درجاتى وتاريخ تفوقى عبر الأعوام الماضية. كيف يرتضى المربى الفاضل لنفسه أن يكون لصا وأن يشرك معه ابنه فى جريمة السرقة. كيف تقبل ياكافر أن تستحل لنفسك ما لا يحل لك؟. رأيتمانى فى عيونكم صغيرا فاستسهلتم اغتصاب حقى، لكنى لست صغيرا كما تتصوران. أمضيت عاما كاملا أخطط للانتقام بعد أن تركت لكم الكلية كلها ، لاقسم الكيمياء فقط ، لأتفرغ لعقابكم يامن تحالفتم مع السلطة الكافرة خوفا ونفاقا وضمانا لمصالحكم وحفاظا على كنائسكم.

كنيستان فى المقابل أيها الأوغاد. الأولى فى الاسكندرية والثانية فى طنطا. أنتما فردان فقط. فى مقابلكما سيسقط عشرات القتلى ومئات المصابين ، وليكن أحد شعانينكم دمويا مخزيا، بينما تقومون بصلاة الأحد احتفالا بعيد السعف فى اليوم الأخير من صيامكم الذى تأكلون فيه رغم الصيام. ارتضيت لنفسى أن أحاضر شباب الجماعة فى معنى الجهاد بدلا من أن أحاضر طلبة القسم فى علم الكيمياء الخاص كما كان يفترض أن يكون الأمر. هذا ماقدره الله لى حين آمنت بتكفير هذا المجتمع المنحل ، وبحتمية الهجرة منه بجسدى وروحى وفكرى وكل مشاعرى.

لن تكون العملية الوحيدة. جهادنا مقدس. مستمرون الى النهاية فى محاربة عسكر الطاغوت حتى نحقق حلم الخلافة وهو قريب بإذن الله. فليدع رئيس دولة الكفر مجلس دفاعه الوطنى للانعقاد، وليتصل بالبابا من أجل تقديم التعازى. ليصف رئيس الوزراء جهادنا المقدس بأنه عمل ارهابى خسيس ، وليعرب شيخ الأزهر عن خالص تعازيه للبابا والكنيسة والشعب المسكين المستكين ، وليبارك المشلول أمين جامعة الدول العربية المشلولة جهود السلطات فى تعقب مرتكبى التفجيرين ، وليعتبر وزير الأوقاف أن استهداف الكنيستين يعد اعتداء على الوطن كله. أى وطن ياهذا وما معنى كلمة الوطن؟!.استمروا فى ممارسة ثقافة اللفظ التى لاتجيدون سواها، أما نحن فلا نعرف الا الفعل ، ولن نتوقف عن الجهاد حتى نطهر البلاد.

هنيئا لك بوظيفتى ياكافر ، فقد تركتها لك واستبدلت بها بيع السواك والسبح والبخور أمام المساجد بعد عامين من الفشل فى الحصول على عمل أرتزق منه. لن أنسى يوما أنك كنت السبب فيما عانيت من ألم وعذاب وإحساس بالقهر والظلم والضياع.

منذ سلمنى مرشدى للأمير وأنا أزداد اقتناعا يوما بعد يوم أن ما نقوم به من عمليات هو شىء مقدس أجره عند الله عظيم فى الدنيا ، أما فى الآخرة فجزاؤه مضاجعة حوريات الجنة مئات المرات ليلا ونهارا.

ضمنى الأمير الى جماعة التخطيط الرئيسية التى تضع الخطوط التفصيلية لأهم العمليات الجهادية ذات الأثر المدوى. قال اننى ثروة هبطت على الجماعة من السماء بعد أن شهد لى محاضرة شرحت فيها للشباب كيفية صناعة المتفجرات بأنواعها المختلفة. شبابنا مقتنع بل مؤمن بما يفعله فى سبيل الجماعة. يأتون الينا من كل أقاليم مصر متطوعين بحياتهم فداء للاسلام. الشهيد محمود مبارك عبد الله مفجر كنيسة الاسكندرية قدم الينا متطوعا من السويس وهو يبلغ من العمر واحد وثلاثون عاما. كان يعمل بإحدى شركات البترول ذات الرواتب المغرية لأى شاب ، والتى أصبح اليوم من المستحيل لأى شاب ان يلتحق للعمل بها دون وساطة مباشرة من الوزير شخصيا. لفظ هذا كله واستهان به فى سبيل عقيدته ، وارتضى لنفسه أن يتحول جسده الى أشلاء حتى يفجر الكنيسة على من فيها من المشركين.

الشهيد ممدوح بغدادى مفجر كنيسة طنطا ينتمى الى خلية جهادية بقنا ، وسبق له أن شارك فى الهجوم على كمين النقب بالوادى الجديد. هو حاصل على ليسانس الآداب وكان يقيم بنجع الحجيرى مركز قفط. مؤهله العالى لم يقف حائلا دون إيمانه بقضيتنا.

نسبة عالية من خيرة شباب الجامعة المتحمسين للتضحية بأرواحهم فى سبيل الله ، هم من أهالى الصعيد الذى أهملته كل الحكومات الكافرة التى تعاقبت على حكم مصر، وعاملت أهاليه على أنهم رعايا من الدرجة الثانية. حرمتهم من فرص العمل ومن الخدمات الصحية والمدنية ، حتى أصبحت حياتهم لا تمت الى الآدمية بصلة ، لدرجة اختلاط مياه الشرب لديهم بمياه الصرف الصحى فى بعض المناطق.

أعدكم يا أهل عشيرتى المؤمنة أننى سأقوم يوما بنفسى بقيادة عملية انتحارية أسأل الله فيها الشهادة. لم يعد يكفينى أن أعلمكم كيفية التفجير عن بعد باستخدام الهاتف أو الصاعق المتفجر أو القنابل الحارقة. يجب أن تتعلموا أيضا تكتيكات العمليات الهجومية التى تعلمتها فى معسكراتنا ، والتى تتضمن تدمير الأعداء والاستيلاء على الأراضى ذات الأهمية، وأن تفهموا جيدا معنى ساعة الصفر وخط البداية والسرايا القتالية والحشد والتشكيل ومبادىء الهجوم وأنواعه وخطط الاقتحام وأنواعها.

ستكون عمليتى كبيرة بمشيئة الله ، لكنى ربما أستخدم تكنيك التفجير الذى أعشقه وأتقنه ، فليست البراعة أن أفجر نفسى مع العدو ، لكن البراعة كلها فى أن أقوم بالتفجير عن بعد فأحقق أكبر عدد من القتلى دون أن أموت، فأنا محب للحياة رغم استهانتى بها فى سبيل الحق.

سوف نستهدف أكبر عدد ممكن من المدنيين والعسكريين بحيث نصنع حالة من الخوف والهلع بين الناس ، فربما تحركوا يوما وثاروا ضد حكامهم الجبابرة. لن نكون من الغباء بحيث نركز هجومنا على المناطق الحصينة ذات السيطرة الأمنية المحكمة ، وإنما سنبحث دائما عن النقاط الضعيفة فقط حتى نزيد من أعداد القتلى والجرحى، ونبث حالة من الرعب والفزع فى نفوس الناس.

عند الكيلو 101 بطريق الواحات نجحنا فى قتل ستة عشر جنديا من جنود الطاغوت حاولوا الهجوم على كمين لنا دون استعداد جيد من جانبهم ودون غطاء جوى يدعمهم. كنا قد زرعنا بينهم شبابا يقومون بالاستطلاع وإبلاغنا بتحركاتهم، فبادرنا بالهجوم عليهم والقضاء على معظمهم بسهولة ودون خسائر من جانبنا على الاطلاق.

كانت هذه الهجمة سببا فى تغيير كثير من القيادات العسكرية فى جانب العدو ، بعد أن ثبت فشلها فى مواجهتنا والتخطيط لقتالنا. اعتبروهم مقصرين فاستحقوا العقاب.

****

تعشق النساء ياوديع بجنون ، لكنك تخفى هذه الحقيقة حتى عن نفسك، رغم ذلك فقد كنت ساذجا فى تجاربك المحدودة مع المرأة. لم تتعلم كيف تطرى محاسنها وتشيد بجمالها مهما كانت قبيحة. اختصر صديقك الجرىء الطريق بأن وضع فى سروالها هدية ثمينة تهيؤها لخلعه فى أقصر فترة ممكنة . لم أكن أعلم أنه ليس هناك شىء فى الحياة أصعب من التعامل مع المرأة بصراحة، وأنه لاشىء أسهل من التعامل معها بالمديح الكاذب والاطراء. يعتقد المرء خطأ أن المرأة غير موجودة بروحها معنا فى كهوف الجبال وفى الأنفاق الملغمة ، وبخيال جسدها الفتان خلف الأسلاك الشائكة والمدافع التى تطلق حممها على البشر المعارضين لنا. هى موجودة فى كل لحظة ، وربما كانت هى التى تصد عنا جحافل النيران بما تبعثه فينا من حمية للجهاد ، أملا فى لذة مؤجلة ما بعدها لذة.

****

يا الهى. انى أتساءل كيف كانت حياتى ستسير لو لم أعرف مرشدى الذى هدانى بفضل الله الى مولاى الأمير. قدر الله أن ألقاه بطريقة هذر هزلية ساخرة حين اندفعت لاهثا الى وحيد شرعان فى لحظة من أصعب وأقسى لحظات الضعف والانهيار التى مررت بها فى حياتى عقب سلسلة من الكوارث بدأت بسرقة وظيفتى وانتهت بسرقة أمى ،حيث كانت القشة التى قصمت ظهر البعير.

سألت أبى يوما على سبيل الطمأنينة على مستقبلى مع نبيلة:

- بكم ستساعدنى يا أبى حتى أشترى شقة استعدادا للزواج؟

أجابنى بثقة كلها يأس:
- الله المعين
- من المؤكد أن لك مدخرات فى البنك
ابتسم ابتسامة ساخرة لكنها صفراء. قال بهدوء:
- يابنى أنا يامولاى كما خلقتنى !
بدلا من أن أطلعه على الكارثة التى شهدتها بأم عينى فزلزلت كيانى وأفقدتنى الثقة بكل المبادىء والقيم ، وبالآدميين الذين يتشدقون بها، فكرت فقط فى أن أنجو بنفسى من أمى ومن البيت الذى تبيت فيه ، فأقدمت على ذلك السؤال الأنانى الغبى. جاءنى الجواب الذى أذهلنى والذى لم أكن أنتظره أو أتصوره أبدا:
- يابنى أنا يا مولاى كما خلقتنى!
طبعا. كان لازما أن يكون هذا حالك ياتوفيق ياهجين، يامن لم تطبع يوما كتابا أو مذكرة لطلبتك فى الكلية كما يفعل معظم الأساتذة. اخترت الشرف فى دولة عديمة الشرف فافتقرت وأفقرتنا معك. ماذا أقول لوالد نبيلة يوم أتقدم لخطبتها وأنا صفر اليدين. عامان طويلان عريضان بلا عمل ولا فرصة مأمولة للعمل. لو طردنى من بيته لما تعجبت.

****

فى تلك الليلة السوداء كان لابد أن أقتل ذاكرتى فأريحها ولو لساعات قليلة من عذاب العجز والقهر والفشل والخيانة ، حتى أتجنب انفجار دماغى وقد بات وشيك الحدوث. شربت وحدى كمية كبيرة من البيرة حتى أصبحت على وشك السكر. تذكرت بالمصادفة صديقى القديم وحيد شرعان. كانت الفكرة الشاغلة لرأسى فى تلك اللحظات هى البحث عن عدالة الله فى هذه الأرض التى أعيش عليها ، بعد أن يئست من عدالة أهلها. أعلم أن وحيدا انسان لادينى فاسد مثل أبيه المهندس الكبير المسجون فى قضية رشوة شهيرة فى عالم الصناعة، مع ذلك لست أعرف كيف صور لى الكحول أن أبحث عن العدالة فى بيت هذا الصعلوك الى لايخلو بيته يوما من الخمر والنساء والقمار منذ ماتت أمه وسجن أبوه. لم يلتحق بأى عمل منذ تخرجنا ولم يفكر فى ذلك رغم حصوله على تقدير جيد جدا ، فالأموال المنهوبة الخفية التى تركها له أبوه تغنيه عن بذل أى جهد للحصول على المال ، وهو بطبيعته كسول ومنحرف حتى النخاع ، فلا قيمة لديه لأى عمل أو لأى شىء آخر غير قراءة الروايات العالمية باللغة الانجليزية من سلسلة البنجوين وغيرها من الدوريات الأجنبية.
آخر مرة التقينا فيها تحدثنا عن البطالة المتفاقمة وعن الشباب الذى سدت أمامه كل سبل الأمل فى حياة كريمة. احتدم بيننا الحوار فأصبحنا من شدة حماسنا وحرقتنا نتكلم فى وقت واحد بحيث لم يكن أحدنا يستمع الى الآخر. شبابنا تلتهمه أسماك القرش البرية فى وطنهم فيحاولون الهرب من الحدود الى أوروبا معتقدين أنها طوق النجاة وباب الأمل الوردى للحصول على عمل، فيغرقون وتلتهمهم أسماك القرش البحرية الحقيقية. تحدثنا عن الفنانات المحجبات اللاتى يقدمن لمشاهدى القنوات الفضائية دروسا فى الدين والفضيلة، وعن السيدات أنصاف الحرائر اللاتى يمارسن الشات على الكمبيوتر مع رجال لايعرفوهن باستخدام الكاميرات الشرعية التى سجلت عناقا حارا بين الرئيسين المصرى والاسرائيلى. سأل الرئيس المصرى أحد وزرائه عن البلدة التى ولد بها فأجابه الوزير بابتسامة بلهاء داعرة ورأس منكس الى الأرض فى حياء كاذب أقرب الى الذل قائلا:
- كما تحب يا ريس !
وهناك قانون مصرى يحدد مواصفات بدلة الرقص الشرقى بحيث لاتكشف الراقصة عن مفاتنها المخبوءة كلها، فتسبب للشباب المحبط الوقوع فى الخطيئة وللشيوخ التهاب البروستاتا.
كان يوم عيد ميلادى السابع والعشرين ، وكانت بصحبة وحيد امرأتان جميلتان تجالسانه شبه عاريتين وأمامهم مائدة عليها أطباق عديدة من طعام الديليفرى المتنوع وزجاجة كبيرة من الويسكى، وثلاثتهم منفجرون فى الضحك بسبب وبلا سبب.

شعرت بكثير من الخجل لأننى كنت أعتقد أنى سأجده وحده فأفضفض له ما بصدرى من كلمات جوفاء عن العدالة ، لعل الكحول يساعدنا على ايجاد فرجة ننفذ منها الى هذه العدالة الغائبة. عندما همست له بما يدور فى فكرى قال لى وعيناه تؤكدان أنه يشك فى قواى العقلية:

- **الأفضل أن نشركهما معنا فى البحث عما تريد**
- **كيف؟!**
- **فى البداية ستنام أولا مع ذات القميص الأسود وتتركنى أستريح مع الثانية التى استنفدت طاقتى من صباح ربنا وحتى الآن...بعد ذلك نتكلم فى العدالة كما تشاء.**

****

راويه هيكـــل

****

عرفت رجالا كثيرين فى حياتى. أحببت منهم كل من تجاوب مع فكرى وأسلوبى فى الحياة. كلهم احترمونى وعاملونى كإنسانة لا كامرأة فكان الفراق دائما نبيلا . تعاملى مع الرجال سهل وممتع ومسل ومريح، على عكس تعاملى مع بنات جنسى اللاتى عانيت منهن كثيرا فى عملى بالصحافة بسبب الغيرة وعقدة المقارنة. الغريب فى علاقاتى الطيبة بالرجال أنها ماتكاد تقوى وتتطور حتى تندثر وتتلاشى. فريد سافر الى مدينة أخرى وتركنى بعد أن ترددت فى قبول الزواج منه رغم أنه كان يمكن أن يكون زوجا رائعا. وليم عاد الى أمريكا قبل أن أعبر له عن ميلى اليه وانجذابى لعقله. كان من الممكن أن يكون هو الآخر زوجا مناسبا رغم اختلاف الديانة واللغة، لكن هذا ماحدث مثلما حدثت أمور أخرى ليست قابلة للتفسير لأنها فى أغلب الأحيان غير مفهومة. عموما فقد استسلمت لفقد هذين الرجلين ، ولا أبالغ لو قلت اننى حزنت بعد ذلك على فراقهما ، لكن هذا الحزن لم يدم طويلا، فدوامات العمل ومشاغل الحياة تنسى كل شىء. لكن هناك رجل مازلت أبكى فراقه دموعا ودما حتى اليوم ، هو حبيبى الأوحد صقر الاسكندرانى.

قتله الكلاب. حذفوه غدرا من سجل الأحياء الذين تحبهم الأرض. مازلت حتى هذه اللحظة غير قادرة على تصور أن يتمكن بعض المجرمين الذين تجردوا من انسانيتهم أن يقضوا بكل بساطة على هذه الروح الانسانية المتوهجة بالحب والعطاء للأهل والأصدقاء والوطن ، فيضطروننا الى أن نهيل التراب على جسده الطاهر فى باطن الأرض والحسرة تملأ قلوبنا والغيظ والألم.

كنت الصديقة المقربة لصقر قبل أن أكون ابنة خالته أو حبيبته من طرف واحد. الرجل الاستثناء بين كل من عرفت من رجال ، الذى سكن عقلى وقلبى ولم يفارقهما حتى اليوم. تعجبت عندما طلب منى على استحياء أن أكتب عنه لو استشهد حتى أخلد سيرته ، وكأنه يعرف أن رحيله قريب. رغم أنى لا أومن بفكرة الخلود لأى مخلوق أو حتى لأى فكرة ، فاننى لا أملك الا الاستجابة لطلب الغالى بنشر سيرة حياته العطرة شديدة القصر.

حين كلفنى صقر بهذه المهمة غير العادية فإنه – حسب ظنى – كان واثقا أننى أنسب من يصلح للقيام بها خير قيام. سوف أجرد نفسى من مشاعر الحب وأكتب بحياد المؤرخ غير المنحاز ، فلا أحيد عن الحقيقة فى جميع الأحوال. الحق أن هذا الرجل يتمتع بسيرة جديرة بأن تعلن على الملأ بحسناتها وسيئاتها ليجد فيها العبرة من يشاء ، والمتعة من يريد.

لم تكن طفولة صقر سعيدة على وجه العموم ، إذ نشأ فى أسرة متواضعة الدخل.. طالما حدثنى عن آماله وأحلامه وهو شارد حالم كعادته ، متأمل بصورة لم ألحظها الا عند الكبار. كنا فى حوالى التاسعة من العمر حين اتفق معى يوما على أن نتمرد على روتين حياتنا اليومية، فنتناول الافطار خارج بيتينا المتجاورين. لم تكن المرة الأولى التى يفاجئنى فيها صقر بأفكار وقرارات غريبة تتجاوز عمره وتتحدى الواقع والروتين والعرف، لتزيد من قوة انجذابى اليه منذ طفولتى وحتى استشهاده.

كانت بجيبه قروش قليلة، وكانت له رغبة قوية فى الثرثرة معى. اشترى فلافل وطرشى وجلسنا متجاورين على رصيف البحر نأكل بشهية. لم يكن عقلى يستوعب مفاجآته بسهولة رغم تقارب عمرينا ، فمرة يقول لى:

ـ سوف أعيش حتى أبلغ الثمانين

ومرة يقول:

ـ سوف أحقق شهرة كبيرة وسوف يتحدث الناس عنى بتقدير وإكبار

لكنه فى ذلك اليوم توقف فجأة عن وضع الطعام فى فمه وهو يقول بما يشبه اليقين ، واللقمة مازالت بين أصابعه:

- سوف أكون ضابطا كبيرا ، وسوف أموت فداء لأهلى وناسى

كل ما جال بخاطرى عقب سماعى قوله أنه يعيش حلما بعيد المنال. أشفقت عليه كثيرا ، فمن أين لأبيه الموظف المسكين أن ينفق على تعليمه بالكليات العسكرية، ومن أين له ولمن مثله أن ينجح فى كشف الهيئة – الذى نسمع عنه من أقاربنا الكبار – أمام لجنة من كبار الضباط الذين يتحرون عن دقائق حياته وحياة أسرته وأقاربه ومعارفه وجيرانه وكل من اتصل بهم واتصلوا به. ينهالون عليه بالأسئلة المتعاقبة الاستفزازية المهينة لشخصه لاختبار درجة ثباته وقوة أعصابه. لم يكن أحدنا يعلم أننا سنقرأ فى الجرائد عندما نكبر عن شاب انتحر بإلقاء نفسه فى النيل بعد أن رسب فى كشف الهيئة بوزارة الخارجية لأنه"غير لائق اجتماعيا" ، إذ كان والده يعمل حارسا لإحدى العمارات. فى ذلك اليوم تشاجرت مع صقر لأننى كنت أؤيد قرار الهيئة ، فثقافة ابن البواب وتركيبته النفسية وطموحاته وسلوكياته الاجتماعية تدور كلها فى محيط غير صالح لأن يؤهله للعمل فى هذه المهنة الراقية التى لم يكن يحظى بها فى الماضى سوى أبناء الطبقة الارستقراطية والباشوات. صاح فى وجهى بشدة قائلا:

- ضعى أخاك حسام مكان هذا الشاب. ماذا كنت تقولين ساعتها؟
- أنا لا أضع أحدا مكان أحد، ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه
- لكن كيف يعيش انسان بلا طموح وأحلام؟!
- فليحلم وليطمح كيف يشاء ولكن فى حدود قدراته وامكانياته ، والشاعر يقول:

"النفس تطمح والأسباب عاجزة/ والنفس تهلك بين اليأس والطمع"

- الذى يريد شيئا يستطيع أن يحققه
- وهل ترى أن طموحك وإمكانياتك فى حدود قدراتك؟
- طموحى يتجاوز هذه الحدود ، لكنى سأبذل المستحيل لتحقيقه
- وكيف يكون ذلك ياباشا؟
- لا أعرف الإجابة الآن، لكنى سوف أعرفها فى الوقت المناسب

عندما كبرنا كنا نعلم أن معظم من اجتازوا اختبارات الكليات العسكرية قد تم قبولهم بالوساطة ، فكثير من الطلبة أدوا الاختبارات الأخرى بنجاح ، لكنهم لم يقبلوا بسبب تواضع مستواهم الاجتماعى، أو امتهان أحد أفراد الأسرة مهنة دونية فى العرف العام كالعمل فى القمامة أو العتالة أو النظافة وما شابه ذلك ، فضلا عن افتقادهم لوساطة تساندهم وتزكيهم. سألته بنفس براءته التى أحبها كثيرا:

- قل لى كيف ستدخل الكلية الحربية إذن؟
- لا أعرف ، لكنى واثق أنى سأدخلها ان شاء الله
- وما مصدر هذه الثقة؟
- شىء بداخلى لا أعرف كيف أعبر عنه

كل خلية من خلايا جسده كانت تنطق بالعزم وقوة الارادة. مواصفات لم أعهدها فى أحد من الرجال الذين عرفتهم فى حياتى حتى الآن. حدة نبرات صوته القاطعة جعلتنى أصدقه تماما ، فيتمكن منى يقين بأن حلمه سوف يكون يوما حقيقة ساطعة.

****

بعد مضى مايقرب من ثلاثين عاما على ذلك الحوار ، كنت أمشى فى الجنازة العسكرية للنقيب صقر الاسكندرانى وجثمانه ملفوف بعلم مصر المهيب.

الذين حملوا الجثمان – وعلى رأسهم وديع الذى كان يبكى صديقه بمرارة - أصابهم ذهول للتناقض الذى حدث فى وزنه – أو حسبما توهموا- وهم يستعدون لإنزاله الى المقبرة ، إذ صار خفيفا كريشة. صاح وديع مهللا مكبرا بحماس لم تنخدع له فراستى ولم تقبله فطرتى . لست أدرى لماذا لم أصدقه سواء فى بكائه أو فى تهليله وتكبيره أو فى الزى الذى أصبح يرتديه. كان وديع قد ارتدى جلبابا وأطلق لحيته وتبدلت أحواله وأخلاقه بحيث لم أعد أطيقه. رأيت فيه انسانا آخر منذ تحوله غير المفهوم.أخذ يردد صياحه:

- الله أكبر. الله اكبر. لا اله الا الله. صلوا على رسول الله

وضعوا الجثمان فى المقبرة وأهالوا عليه التراب. كلما شاهدت كائنا آدميا يلقونه فى حفرة ثم يردمونها فوقه بالتراب ، أصاب بحالة من إنكار الحقيقة الماثلة أمام عينى. جسد آدمى وكيان انسانى يدفن تحت الأرض؟!!..الكلام والحركة والمشاعر واللحم والدم والأعصاب والأفكار ، تتحول كلها الى عدم وسكون فتدفن فى باطن الأرض؟!..

طاف سرب من الحمام حول المكان لفت أنظار المعزين. كثر الكلام عن محاسن الفقيد ومآثره ومواقفه النبيلة تجاه الجميع. لكن كان لابد فى النهاية أن ينصرف الجميع كل الى دنياه وعالمه وشؤون حياته. لم يبق الا زوجته "ألطاف" وابنه"سامح" وابنته"سماح" واقفين فى ذهول بلا حول ولاقوة. بعد قراءة القرآن والانتهاء من الدعاء للمتوفى وذرف الدموع عليه وانقباض القلوب رهبة من المجهول، اصطحبتهم من أرض المقابر الى فضاء الشارع الفسيح حيث الحياة الدنيا وعالم الأحياء بخيره وشره.

بعد ذلك بدقائق معدودة كان جسد صقر نهبا للديدان التى بدأت تتهافت عليه ، وانطلق خارج المقبرة الى فضاء عالمه البرزخى. كان من المستحيل لمخلوق أن يراه وهو يروى لنا سيرته بالتفصيل.

أسئلة عديدة طافت بذهنى فى تلك اللحظات العسيرة لم أعرف لها إجابة، فهل الروح تفكر، وهل بمقدورها أن تتخاطب مع أرواح أخرى أو مع أجساد لم يزل أصحابها على قيد الحياة، وهل تستطيع أن تسترجع أحداث حياة صاحبها من الماضى البعيد؟..

كتب على حبى لصقر أن يظل بلا أمل حتى انتهت حياته. يبدو أنه كان من الصعب أن تجمع بيننا علاقة عاطفية تتجاوز الصداقة المخلصة التى بدأت منذ طفولتنا وانتهت ظاهريا حين دفنوا جسده. رغم ذلك فما زلت أعيش معه ويعيش معى حتى اليوم. مسكونة أنا بك ياصقر.ليتنى أستطيع أن أخرج منك حتى أستريح. أتمنى أحيانا أن أغمض عينى ثم أفتحهما لأجدك ماثلا أمامى حيا متدفقا بالحياة من جديد. لو كنت أعلم ان الطوفان سيجىء ليجرفك من حياتى لما فرطت فيك لحظة واحدة ولو على حساب كرامتى. فجيعتى فيك ياحبيبى لايكفيها حزن أو ألم .اللعنة على ترددى واللعنة على ترددك، فالحياة جرأة واقتحام وجسارة وقرار.

الاختلاف الجذرى فى طباعنا وطريقة تفكيرنا وأسلوب حياتنا ونظرة كل منا الى الناس والأشياء ، هو الذى أبقى على صداقتنا الراقية، وهو نفسه الذى حرمنا من علاقة عاطفية كان يمكن أن تضم قلبينا فى عناق حميم. لماذا لم تتركنى أو أترك نفسى أذوب فى أحضانك ونرتشف رحيق الحب من قبلاتنا؟..كلانا مذنب فى حق نفسه وفى حق الآخر ياصقر. أغلقت باب قلبك من دونى وفتحته لألطاف ، ثم تزوجتها وتركتنى زوجة لحبر الطباعة والتحقيقات الصحافية.

صقر الاسكندرانى موقف وقرار، أما أنا فمتعتى الذهنية لا أجدها الا فى الضياع بين المواقف والقرارات والناس والحياة. لم أعتنق يوما فكرة أو مذهبا ، فكيف كان يمكن أن يضمنى وصقرا فراش واحد ونحن نقيضين رغم صداقتنا الحميمة؟.. حتى فى حبنا للوطن كنا مختلفين. هو لايعشق وطنا غير مصر. أنا أحب وطنى ، ولكنى أحب مثله كل الأوطان. انتمائى الأرضى يتسع لحب الكون كله لا لحب مصر فقط. لست أدرى كيف تمكن منه هذا العشق الجنونى حتى أصبح قدس أقداسه، يذوب فيه ويتوحد بدمه وكيانه ، ويتحد فيتلاشى. طالما أدهشنى هذا الأمر حتى سألته يوما:

- هل قرأت رأى برتراند راسل فى مفهوم الوطنية؟
- لا..منك نستفيد أيتها الشاردة
- يقول ان المنتمى لوطنه محدود الفكر، فالأجدر أن ينتمى الى الكون والانسانية ، لا الى رقعة محدودة من كوكب الأرض الصغير
- هذا كلام فلاسفة لا أستطيع فهمه
- لقد شرح فكرته بأن ضرب مثلا بفتاة اكوادورية كانت تقود دراجة على جبل عال منحدر ، حين انزلقت بها الدراجة وبدأت تهوى الى الأرض ، لكنها نجت بأعجوبة.

- وما علاقة هذا بالوطن؟
- عندما سألوها كيف نجت من الموت قالت انها تذكرت انها اكوادورية ورددت ذلك القول مرات عديدة بفخر شديد، حتى تمكنت من السيطرة على الدراجة
- وماذا كان يقصد بهذا المثال؟
- واضح انه يسخر من فكرة الوطنية، بدليل ان اكوادور دولة تكاد تكون منكورة بين الدول ، ومع ذلك فالفتاة تعتقد أن وطنها شيئا عظيما، وان ايمانها بعظمته هو الذى أنقذها من الموت حسب اعتقادها اليقينى الراسخ
- وما رأيك أنت ؟
- أنا أوافقه تماما
- ألا ترين أنه من الغريب انكما تفكران بنفس طريقة تفكير الجماعات الظلامية، رغم التناقض السافر بين فيلسوف وارهابيين ومجنونة مثلك؟!
- كيف؟
- لابد أنك سمعت عن مقولة مرشدهم الشهيرة"طظ فى مصر"!!
- قرأت عنها وهو تعبير غير مهذب عن انكاره لفكرة الوطنية
- ولماذا ينكرها أساسا؟
- لأنه لاينتمى الى وطنه قدر انتمائه الى جماعته المسماة اسلامية ،تلك الجماعة التى تعيش على وهم وخرافة اسمها الخلافة الاسلامية

سألت واحدا ممن صاحوا أثناء حمل جثمانه مهللين مكبرين بحماس عن سر ذهولهم وصياحهم. أكد لى على تلاشى وزن الجثة تماما حين قال:

- النعش طار بنا. أصبحنا نجرى من خلفه دون أن ندرى !
- وكيف حدث ذلك؟
- فقدنا الاحساس بوزنه فجأة.

تمكنت منى حاستى الصحافية التى يسيطر عليها الفضول وعدم تصديق أى شىء بلا دليل . سألته باهتمام:

- وعلام يدل ذلك فيما تعتقد؟
- هو رجل مبروك وذاهب الى الجنة بلا شك

اعتصر قلبى نحيب ألطاف. كانت مثله مجنونة بحب مصر. لما فقدته فقدت معه الوطن الذى كانت تعيش فيه ويعيش فيها. ليتنى أجرؤ على النحيب مثلها فإنى تواقة الى ذلك. الذين قتلوه لاوطن لهم. مؤسس جماعتهم يقول علانية بأنه"لاينتمى الى وطن". فيلسوفهم ومنظّرهم يقول"ما الوطن الا حفنة من تراب". رئيس جماعتهم الأسبق يقول"طظ فى مصر واللى فى مصر"، أما رئيسهم الأخير فيقول"الجماعة فوق الجميع"!!!

رئيس دولتهم الفاشل يهدد شعبه فى خطاب ركيك ممل زاعق إذ يقول:

- إما الشرعية وإما الدم

هذا الذى تولى حكم مصر فى غفلة من الزمن يخير الشعب بين أن تحكمه جماعته أو أن يقتل فى الشوارع برصاص ميليشياتها المستعدة للانقضاض. من سخرية القدر أنه عندما اختطفت مجموعة ارهابية مسلحة من جماعة أنصار بيت المقدس سبعة جنود مصريين فى فبراير2013 ، أصدر معاليه بيانا طالب فيه القوات المسلحة بضرورة الحفاظ على سلامة الخاطفين والمخطوفين معا !!. واقعة لم ولن تحدث فى أى مكان بالعالم اذ يساوى الحاكم بين المجرم والضحية ويضعهما معا فى كفة واحدة ، لمجرد أن المجرم ينتمى الى جماعته.

حبيبة حبيبى كانت تبدو متماسكة لدرجة أدهشتنى رغم نحيبها المكتوم الذى يمزق القلب. لم تكن منهارة بقدر ما كان الحزن العميق يزلزل أعماقها ويهز أركانها. أخذتها فى حضنى وكأنها ابنتى. قبلتها وامتزجت دموعنا لفراق نفس الحبيب. قالت فجأة خارج سياق الحزن والألم:

- كان يشجعنى على الانضمام للمتظاهرين ضد الارهاب والارهابيين

- أعلم ذلك فقد كان مفتونا بجنونك الثورى الذى جعله يعشقك
- سهرت ليلة حتى ساعة متأخرة من الليل مع مجموعة من المتطوعات لرعاية مصابى العمليات الارهابية. اتصلت به لأعتذر له فطلب منى أن أبيت بالمستشفى لو اقتضى الأمر ووعدنى برعاية الطفلين جيدا فى غيابى.

ظلت تروى لى عن مآثره بصوت عال وعلامات الجدية الشديدة مرتسمة على وجهها وكأنها تتحدث فى ثبات عن رجل آخر، ما جعلنى أعتقد أنها تهلوس ، بينما كانت تقبض بشدة على يد سامح بيمناها وعلى يد سماح بيسراها، وهى تمشى شاردة فى آلية غريبة وكأنها لاتشعر بوجودهما أو وجودى. حاولت تغيير مجرى الحديث أكثر من مرة حتى أعيدها الى حالتها الطبيعية دون جدوى. كل ما قالته وما كان يمكن أن تقوله عنه أعرفه جيدا ، وربما أكثر مما تعرف بعضه . كان لابد أن أشاطرها الحزن بالاخلاص الشديد فى الانصات اليها وإظهار علامات التأييد لكل ماتقول.

****

انضم صقر الى صفوف الجيش الثانى الميدانى بالقنطرة. خلال هذه الفترة قدم عدة طلبات لقيادته أفصح فيها عن رغبته القوية فى المشاركة بالعمليات العسكرية فى سيناء أو رفح أو الشيخ زويد أو العريش. كان مولعا بإلقاء نفسه فى قلب معمعة الموت. حدث ذلك كله سرا دون أن تعلم به ألطاف.

تمت الموافقة على طلبه ونقل الى الشيخ زويد حيث أوكلت اليه مهمة الاشراف على سلسلة كمائن سدرة أبو الحجاج التى كان الهدف من اقامتها قطع الطريق على الجماعات الارهابية بعد أن تكرر هجومها المسلح على النقاط الأمنية فى هذه المواقع.

هجم الارهابيون على ستة كمائن بالتزامن فى الساعة السادسة صباحا. اقتحمت كمين صقر سيارة مفخخة. قامت قوات الكمين بتدميرها قبل أن تصل اليهم. تلى ذلك محاولة اقتحام ثانية للكمين بسيارات دفع رباعى تحوى كل سيارة منها مايقرب من خمسة وعشرين عنصرا ارهابيا على وجوههم غضب من الله ، مسلحين بمدافع الآربى جى وأسلحة القنص المتعددة الأخرى. قام صقر بتفجير سيارتين منهما قبل أن يصلا الى الكمين. استشهد أحد زملائه الضباط خلال محاولة الاقتحام الثانية. أعقب هذا الهجوم هجوم ثالث بواسطة مسلحين على دراجات نارية يحملون الرشاشات ويطلقون منها النار فى كل صوب بهوس هيستيرى. قامت قوات الكمين بتصفية عدد كبير منهم. أصيب صقر فى قدمه اليمنى. واصل القتال حتى أصيبت قدمه اليسرى. خلال هذه المعركة أوشكت ذخيرة الكمين على النفاد. أعطى صقر أوامره لجنوده أن يحتموا بداخل مدرعاتهم ويذهبوا بأقصى سرعة الى أقرب كمين كى يمدهم بالذخيرة. رفض الجنود أن يتركوه بمفرده وهو مصاب. أصر على تنفيذ أوامره. بقى معه اثنان من جنوده يقومان بحماية ظهر بقية الجنود لحين عودتهم بالدعم والذخيرة، لكن رصاصة حقيرة موجهة من أحد قناصة الارهابيين اخترقت رقبته فلفظ أنفاسه على الفور.

هل تركتنى حقا ياصقر دون أن تمنحنى صك حبك موقعا بمداد شهد رضابك؟. خذلتنى بموتك المفاجىء فلم تعد كائنا. لو مزقت جسدى حزنا على فراقك يابن خالتى فلن أشعر بأى ألم يفوق ألمى على فقدك. لكن من قال إنك فارقت.مت.قتلت. فقدت. استشهدت. دفنت فى باطن الأرض. صعدت روحك الى السماء. أنا لا أصدق كل هذه الأكاذيب. أنت عندى حى لم تمت.

****

صقر الاسكندرانى

****

قتلونى. كنت أتمنى أن أعيش حتى تخلص مصر من شرورهم ، لكنه أجلى ولا جدال فيه. تركت أهلى وأحبائى وأصدقائى. لن أرى سامح أو سماح أو ألطاف مرة أخرى، كما لن أكون قائدا للجيش المصرى.

ما أن أهالوا التراب على جسدى وأصبحت وحيدا فى مقبرتى تحت الأرض، حتى تذكرت روحى الآية التى تؤكد على أننى حىّ عند ربى أرزق. كنت أسمع قرع نعال المعزين حين أتانى ملكان سألنى أحدهما عن دينى و نبيى فأجبته ، أما الثانى فبشرنى بمقعد فى الجنة. انتابنى فرح وسرور وطمأنينة، وانطلقت روحى الى عالمها الجديد بين الدنيا والآخرة، وراحت تهذى بحكايتى فى حرية وبلا قيود من زمان أو مكان.

****

كتب علىّ البحث والتجوال فى عالمى الداخلى منذ اللحظة التى تشكلت فيها نطفتى. ظننت أن انتقالى الى طور آخر سيعفينى من المكتوب، أو يستبدل به مكتوب آخر أكثر يسرا على النفس والعقل والروح. تبين لى أنه قدر أزلى أبدى يحتوى أطوارى التالية جميعا ، فأبحث وأنا علقة ، وأجول وأنا مضغة ، وأستفسر وأدرس وأنا عظام ، وأغوص فى قيعان الفكر وأنا لحم حتى أغرق فى لجة الوجود وأنا مخلوق آدمى بطينه وروحه، ثم أعود وأفارقه لمجرد أن تطلق علىّ النار مخلوقات تنتمى بطريق الخطأ الى آدم الانسان.

لم يكن طبيعيا أن ينشغل فكر أبى حين استبدت به النشوة ، بكونه مخلوقا طينيا نفخ فيه من روح الله. عند بلوغه الذروة ألقى بنطفتى فى قرار أمى المكين ، وهو لايعلم شيئا عن أمرى كيف كنت عدما وكيف سوف أكون فيما بعد. ظلمة داخل ظلمة داخل ظلمة وغذائى دم فقير. قيل لى اننى سوف أترك أثرا هاما على أرض مصر. قيل لى أيضا أن منحة ملكوتية غامضة ستحمينى وتهبنى قوة أسطورية لايعرفها أقوى الرجال. لكن أحدا لم يحدثنى عن سعادتى فى الدنيا. كانت أسباب السعادة الحقيقية مسألة صعبة على ادراكى الذى لم يكن قد تشكل بعد. حتى اليوم لم أعرف ان كانت هذه الأسباب نسبية أم مطلقة ، أم أنها تخضع لدنيا الأغيار وتختلف من إنسى الى آخر.. ما كان أغنانى أن أقع فى حبائل مثل هذه المسائل الفلسفية الشائكة لولا أن أبى – بنهاية جولة متعته - قذف بى فى ارتعاشة لذيذة الى خضم الحياة ثم نسينى تماما ، فكان على أن أقرر مصيرى بنفسى ، وهذا ما كان بالفعل.

المثيرفى الأمر أن تلال الكتب ودوائر المعارف المختزنة فى تلافيف المخ ستؤول فى النهاية الى تراب مثلما حدث لجسدى الذى فارقته الى العالم الفاصل الواصل بين الدنيا والآخرة، وبين الحياة والموت. أما الروح فقد سافرت الى أجل مسمى لكنى لا أعرفه، وعندما تلتقى بجسدى من جديد سيكون الزمان والمكان والأحوال جميعا فى صور مختلفة عما هى عليه الآن. لن يسمع أحد كلمات مثل أمريكا أو التطرف الدينى أو الارهاب أو آبار الغاز والبترول أو بورصة الأوراق المالية أو حرب الخليج أو الميكروسوفت أو القنوات الفضائية أو حكام العالم الثالث وكلابهم الدائمة اللهاث والنباح.

****

فى مرحلة دراستى الثانوية كان جارنا العقيد محمد غنيم يأتى فى إجازة كل عدة أشهر يزور فيها أمه وشقيقتيه اللتين كانتا تستعدان للزواج. بيتهم فى زقاق قريب من زقاقنا.عانت أسرته كثيرا من ضيق ذات اليد بعد وفاة رب الأسرة ، حتى عمل ضابطا فتحسنت الظروف كثيرا. علاقة أمى بأمه علاقة وطيدة. كنت أذهب الى منزلهم كلما جاء فى إجازة فيستقبلنى بمحبة لاتقل عن محبتى الشديدة له ولزيه العسكرى. كانت محبتى هذه مثار دهشته الدائمة. أنهال عليه بالأسئلة عن حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر حيث لم أكن قد ولدت بعد.

شارك العقيد محمد غنيم فى الحربين وأبلى بلاء حسنا قبل أن يتم نقله الى الحرس الجمهورى. لولا محبته لى لما صبر على كثرة أسئلتى ، ولما استطعت امتصاص كل كلمة قالها لى ووضعها فى مكانها المناسب بكراسة ما زلت أحتفظ بها حتى الآن. سجلت بها كل البطولات التى تمكنت من جمعها، والتى قام بها جنودنا وضباطنا فى الحربين بتفاصيلها الدقيقة كما روى بعضها لى ، وكما جمعت بعضها من جرائد وكتب. لم أكن أجرؤ بالطبع على سؤاله كيف تخطى فى الماضى عقبة الفقر والتحق بالكلية الحربية ليصبح ضابطا، بينما كانت أسرته تعانى قرف الفقر وذله. توسلت الى أمى أن تعرف الحقيقة من أمه فجاءتنى بها.

فى البداية حاولت أمه أن توضح له استحالة تحقيق رغبته، رغم ذلك فقد اقترضت من بعض الأقارب والمعارف مبلغا لا يفى بنصف قيمة المصروفات المطلوبة. قالت له:

- لم أترك بابا لم أطرقه لأجلك يامحمد. لكنى لم أستطع جمع أكثر من هذا المبلغ.

كان محمد قد ادخر من جانبه مبلغا متواضعا من حصيلة عمله فى إجازات الصيف تارة بمحطة بنزين وتارة بأحد المقاهى وأخيرا عاملا بأحد المطاعم الشهيرة على الشاطىء والذى لايرتاده الا المقتدرين. الله وحده مدبر الكون. سقطت حافظة من جيب صاحبها فانحشرت بين مقعدين. عثر عليها محمد أثناء قيامه بتنظيف المكان. كل ما كان يطمع فيه أن يحصل على نصيبه القانونى من المبلغ الضخم الذى كان بداخلها حين يرده الى صاحبه. لكنه حين قرأ بطاقة هوية صاحب الحافظة انشرح صدره وأدرك أن الفرج قد جاءه من حيث لايدرى ولا يحتسب. لم يعد يطمع فى شىء الا فى لقاء صاحب الحافظة والتوسل اليه أن يترفق به ويحقق له حلم عمره.

****

عندما غادرت مقبرتى تناثرت أمامى عشرات الأسئلة. من أنا وماذا أريد وكيف ولماذا جئت الآن هنا ومن قبل هناك. كانت بى رغبة أصيلة فى التجوال بهذا العالم الذى لاهو دنيا ولا هو آخرة. تساءلت كيف سأعاشر فيه الإنس والجن قبل أن أعود الى جسدى من جديد. غير أنى كنت على يقين من أن الحياة فى مجملها عذاب مهما كانت حلوة ، وأن العودة الى العدم أفضل بكثير من معاناة لاجدوى منها. لكن الفرحة جاءت مسرعة ، وإذا بالطمأنينة تغمرنى ، وإذا بهاتف يؤكد لى بنبرات هادئة واثقة مطمئنة أن الأمر كله خارج عن ارادتى ، وأننى مهما فعلت فلن أغير من الأمر شيئا لأننى لست أملك سوى الانتظار حتى يأتى يوم اليقين المشهود.

****

بعد ساعات قليلة كان محمد غنيم يجلس فى بهو أنيق فى بيت بأحد الضواحى الهادئة بالمدينة ، هو بيت اللواء فراج العبد.

كانت فرحة اللواء فراج بحافظته طاغية ، اذ كانت تحتوى على أوراق وبطاقات شديدة الأهمية والخصوصية ، فضلا عما يزيد عن ألفين من الجنيهات.

على الفور أخرج الرجل من حافظته ثلاثمائة جنيه قدمها بسعادة الى هذا الشاب الذى كان مبهورا بمهابته وضخامة بنيانه ، سعيدا بحسن الاستقبال وكرم الضيافة.

فوجىء فراج بمحمد يرفض أخذ المنحة التى كان فى أشد الحاجة اليها. كانت كفيلة بعد ضمها الى ما جمعته أمه من قروض ، وما ادخره فى الأصياف بتسديد المصروفات المطلوبة. لكنها لاتضمن له النجاح فى كشف الهيئة حين يتقدم للالتحاق بالكلية فى غضون أسابيع قليلة:

- يابنى هذا حقك، وأنا على استعداد لمضاعفته لو شئت
- يافندم أنا لا أريد المال
- فماذا تريد إذن؟
- أطمع أن تؤدى لى خدمة العمر

جاءت خادمة تعلن أن طعام الغداء جاهز. انتفض محمد واقفا فى حياء شديد مستعدا للانصراف. استبقاه فراج بعشم:

- انتظر سنأكل معا وأثناء ذلك تحدثنى عما تريد

... وتحققت أمنية العمر كما تمناها محمد.

هذا ما روته لى أمى عن العقيد محمد غنيم نقلا عن صديقتها التى لم تخفى عنها الحقيقة.

****

الغالبية العظمى ممن عرفت من الناس وممن لم أعرف ، كذابون. خاصة أولئك المتهافتون على الاقتراب من السلطان والسلطة لأنهم لم يقرءوا كليلة ودمنة ، رغم أن دملا صغيرا فى ثقب المؤخرة أو احتباسا مفاجئا فى البول أو ارتفاعا طارئا فى ضغط الدم قد يسفر عن موت مفاجىء. حينئذ لن تكون هناك أهمية تذكر لبناء كنيسة يحتج الظلاميون على انشائها فيحرقونها ويقتلون من فيها من أقباط مخلصين لمصر وطنهم الذى يعيش فى دمائهم. لن تكون هناك أهمية مماثلة لبناء مسجد يزاحم آلاف المساجد التى تملأ أرجاء البلاد. لن يكون هناك معنى لاعتداء مسلم على مسيحى أو مسيحى على مسلم ، أو دخول ذكر فى فرج أو خروجه منه.

****

كان لابد أن أجد مدخلا ذكيا أستجلب به إعجاب محمد غنيم وعطفه طمعا فى معونته. ذهبت الى أحد أبناء عمومتى الذى لم يتمكن من مواصلة تعليمه الثانوى لضيق ذات اليد ، فتطوع للعمل بالجيش بشهادة الاعدادية. كان معسكره بالقرب من طابية قايتباى. ترددت عليه كثيرا أسأله عن أنواع الأسلحة والذخائر ويفرجنى عليها فى الخفاء بمخزن السلاح "السلاحليك". علمنى شفاهة كيفية استخدام السلاح ، وأن يكون التنشين بحذاء"سن نملة الدبانة" ، كما شرح لى كل ما يمت الى عمله بصلة بعيدا عن عيون الرقباء. كان واثقا من كتمانى وحرصى لأنه كان عالما بهدفى متعاطفا معه ، فهذه المعلومات العسكرية لايجوز الافشاء بها لأحد مهما كانت بدائية.

انفجر العقيد فى الضحك وهو يسألنى:

- مالك انت ومال سن نملة الدبانة ؟!

ألم تفهم يا رجل حتى الآن أن حالتى صورة كربونية من حالتك فى الماضى قبل أن ينتشلك اللواء فراج من الضياع؟

- بصراحة أنا أعشق العسكرية ولن أفلح فى أى عمل آخر بغير الجيش

نظر الى فى دهشة وإعجاب:

- عظيم..أمامك الكليات العسكرية ، ومجموعك الذى ذكرته لى يسمح بذلك

السادات هو الذى رقاك بنفسه كما علمت ، ونقلك الى الحرس الجمهورى لإعجابه بشجاعتك ومواقفك البطولية فى الحرب. أنا أيضا سوف أصبح عقيدا مثلك لو ساعدتنى كما ساعدك اللواء فراج، بل إننى أطمح فى قيادة الجيش المصرى كله يوما ما. فقط خذ بيدى يابن حارتى ومثلى الأعلى.

- لكن المصروفات المطلوبة غير متوفرة
- لاتشغل بالك بهذه المسألة

ها هى طاقة القدر تفتح لك يابن الاسكندرانى. هنيئا لك بقيادة جيش مصر.

- قدم أوراقك للكلية الحربية فورا وتوكل على الله

****

أروع مافى الحياة التى فارقتها أننا ننسى أنها مجرد حلم لانفيق منه الا عندما نموت ، وقال لى مخمور إن الأيام الخراء فائدتها النوم، لذلك لا أجدنى أفيق أبدا من حلم الحياة رغم أننى غادرتها مرغما على يد جماعة من السفلة أعداء الإنسانية والحياة والنور، وما انتفاعى بحياة أولادى وأحفادى من بعد موتى مادمت لن أشعر ولن أحس ولن أعمل ولن أفهم. القصة بأكملها أوجزها صديق الخراء فى جملة واحدة:

- هو مات ، وهى تزوجت ، والولد انتحر ، والبنت هاجرت ، والبلد رايحة فى ستين داهية لو استمر الحال على ماهو عليه من فساد عظيم

****

استدعوا أمى فذهبت اليهم وهى غير واثقة من جدية موقف العقيد غنيم. لم يكن يومها متواجدا بالاسكندرية. ترك لأمه مظروفا مغلقا سلمته لأمى. قالت لها بأدب جم كى تعفيها وتعفينى من الحرج:

- محمد يقول إن على صقر أن يسدد هذا المبلغ على أقساط مريحة بعد تخرجه

****

كنت قد علمت من قبل ان مجيئى الى الدنيا لابد أن يكون مرهونا بالقيام بعمل مؤثر يهم الناس ويصون حياتهم ، فلا معنى لأن أولد لآكل وأشرب واتناسل وأنام لفترة طالت من الزمن أم قصرت، ثم أموت ميتة طبيعية عديمة المعنى والفائدة. الواقع أننى مت شهيدا ، فكان لموتى قيمة تذكر.

****

راوية كانت متأكدة من أننى لن اتمكن من تحقيق حلمى. كان لديها مبرراتها المنطقية. وديع قال انه يكره العسكرية والعسكر كراهية الموت. كل من صارحته آنذاك برغبتى وأمنيتى أشفق على وتعاطف معى بكلمات جوفاء. ألطاف هى وحدها التى آمنت بقدرتى على تحقيق المعجزة دون أن تعرف السبب أو حتى تفكر فيه. ربما كان هذا هو الحب. ايمانها بشخصى كان قويا، فضلا عن أنها كانت لى بمثابة أم حنون تفيض مشاعرها بالحب والعطاء، مثلما كانت قادرة دوما على التضحية الى أبعد مدى، لا من أجلى فقط ،ولكن من أجل كل الناس. أما أكثر ما أحببته فى راوية فهو تمردها على كل الثوابت التى اعتاد عليها الجميع. كانت لها رؤية متفردة للحياة، تتساوى عندها الكثير من المتناقضات كالفرح والحزن،والحياة والموت،والنجاح والفشل.لم أفهم أفكارها الزورباوية على حقيقتها يوما. انها تنظر الى كل ما فى الدنيا نظرة لامبالية رغم أنها كانت تتمتع بوعى ثقافى مكثف بمغزى الحياة.

انى أرثى لحالها رغم تماسكها الشديد وثقتها الفائقة بنفسها. هذه المسكينة سوف يسرقها الزمن وتظل عانسا تنتظر الفارس المغوار القادر على إقناعها وإشباعها والذى لن يجىء. مسكينة لم تتذوق لذة امتزاج مائها بماء رجل فى لحظة مقدسة هى سر أسرار الحياة وقدس أقداسها. تلك اللحظة التى ينفق الخلق عليها الملايين حلالا وحراما، ولأجلها تسيل الدماء وتهتز العروش والممالك..لكن من أدراك أيها الضابط الرومانسى المنضبط المعجون بالعسكرية انها لم تفعل ذلك – فهى جريئة – مع رجل فى الخفاء؟!. عموما أيا كان هذا الرجل فأنا أستبعد وديع من كل الاحتمالات ، فهى لاتنظر اليه كرجل محتمل لها مهما كان بينهما من علاقة راسخة.

عندما حان وقت الاختيار اخترت ألطاف لثقتى فى قدرتها على تحمل الحياة مع رجل من طرازى الحالم الثائر العاشق لوطنه حد الهوس ، والذى لاشك لن تكون الحياة معه تقليدية مريحة مثل حياة أهالينا. أبى موظف بسيط بوزارة المالية. يذهب الى عمله صباح كل يوم، ثم يعود فيتناول غداءه ثم ينام قليلا ، ثم يصحو ليتفرج على التلفزيون أحيانا ، أو يذهب الى جاره توفيق الهجين ليستمتع بالسهر معه فى مكتبته الموسيقية، إذ يستمعان معا الى أغانى عبد الوهاب وأم كلثوم القديمة فينسيان الدنيا بما فيها. تعليم أبى متوسط لكن ثقافته عريضة. لمست تجانسا قويا فى صداقته لتوفيق وهو الأستاذ الدكتور بكلية الآداب.فى حوارهما نديّة ، لاتعرف أيهما أستاذ الجامعة وأيهما موظف الأجور والضرائب. موقف أبى من مسألة الالتحاق بالكلية الحربية كان قاطعا محددا:

- يابنى أنا لا أقدر على هذه المصروفات. فكر لنفسك فى عمل آخر

أعفى نفسه من مسئولية حمل همى والتفكير فى وسيلة يدبر بها تلك المصروفات اللعينة وهو مقتنع تماما أنه على حق ، فلا يكلف الله نفسا الا وسعها.

غطست فى الماء كى أتطهر. رأيت ثعلبا صغيرا مستغرقا فى الضحك. عالم الأرواح عالم مبهر حافل بالمسرات. أمسكت بالوردة ذات اللونين الأحمر والبنفسجى وقد ذابا فى بعضهما بمرور الزمن. الرجل كان ماشيا أمامى صحيحا كثور منذ ساعات قليلة ، وإذ به يسقط ميتا

فجأة وكأنه هو صاحب قرار الحرب وقرار السلام. أمسك الضابط مريض النفس بأدوات التعذيب وراح يتسلى فى سادية مقززة بأجساد المعتقلين. لم يعرف أحد جنسيته ولا دينه ولا هويته. اشتهى من بينهم كاتبة شهيرة تجاوزت الأربعين. جمالها وحشى وقلمها أشد سلاطة من لسانها.تحرش بها فبصقت بعنف فى وجهه فصفعها بشدة على رقبتها. قالت له فى تحد:

ـ ما أنت الا عبد ، لكن مايزعجنى حقا هو أنك سعيد بذلك!

قديما كنت أعتقد أن أستاذ الجامعة لابد أن يكون ميسور الحال وأن يكون لديه فائض مناسب من المال. تبين لى بعد ذلك أن حاله لايختلف كثيرا عن حال أى موظف عادى مثل أبى.

فى حديث سابق بينى وبين وديع حول عما اذا ماكان أبوانا محقين فى قبولهما لهذه الحياة المنضغطة بالفقر والحاجة ، وبالتالى فهما مقصران فى حق أبنائهما أم لا، رغم أن كلا منهما لديه سبلا متعددة لرفع مستوى حياته وحياة أسرته. أبى لايقبل الهدايا أو المنح التى تقدم اليه عن طيب خاطر من العملاء دون أن يطلبها منهم ، إذ يعتبرها رشوة. توفيق الهجين يرفض الدروس الخصوصية وطبع الكتب والملازم وبيعها للطلبة.

أنا استسلمت للأمر الواقع وسعيت لتحقيق حلمى بيدى ونجحت بحمد الله. أما وديع فكان ناقما على أبيه رغم حبه له. كان ناقما أيضا على الحكومة التى تغدق أموالها على الجيش والشرطة تاركة المعلم يجتر فقره وحاجته. اذا أردت أن أصف وديع فى جملة واحدة فهو انسان لايعرف معنى الرضا. رغم اختلاف ميولنا وطباعنا فقد كنا صديقين وكنت أحبه والله أعلم بالنوايا. لا يعجبنى فيه انه كثير الشكوى من كل شىء على الدوام.

الدكتور توفيق الهجين يسمى ثلاثتنا أنا وراوية وابنه بالثلاثى المرح، فنحن نضحك فى أغلب الأحيان من أى شىء ، غير أن ضحك وديع كان باردا ينقصه الصدق الذى تميزت به ضحكاتى أنا وراوية. ضابط بالجيش وعاطل وكاتبة صحافية ، وعالم رهيب مخيف يحيط بنا ونتطلع الى الدخول اليه والخروج منه بسلام، حاملين آمالنا وطموحاتنا وأحلامنا على أكفنا وكلنا أمل فى المستقبل والزمن والأيام.تجمع بيننا علاقات الجيرة وصداقات الأسر الثلاث وتقارب العمر وتفاهم جميل رغم اختلاف الميول.

فى لحظات اليأس كنت أشعر أننا ولدنا جميعا فى وطن بائس يحوى شعبا بائسا يعيش حياة بائسة. الجمال والفن والديموقراطية والحب والموسيقا والشعر والحق والرخاء والوفرة والثقافة والعدل والمعرفة والحرية ، كلها كلمات أراها منقرضة ، لم تعد مدونة فى قاموس كلمات هذا الوطن الذى أعشق ترابه وسماءه ونيله وبحاره. لكن ساسة الغرب يحتقرون شعوبنا العربية ويسخرون من حكامنا الذين ينهبون أموالنا بصفة يومية وما من معترض. وقال الشيخ العلامة إنه لن يكون هناك إخراج فى الجنة لأن خلقتنا سوف تكون فى صورة ملكوتية مختلفة عن صورتنا الآدمية الآن. لن يكون هناك نهم أو جشع أو شهوة جامحة رغم وفرة الحور العين والكواعب الأتراب.

بعد تخرجى فى الكلية قرأت كثيرا فى المواد العسكرية وتاريخ الحروب، فضلا عن ادمانى لقراءة قصص البطولة التى خاضها أبناء وطنى فى حروب الاستنزاف و حرب أكتوبر. قرأت عن الرائد عادل بارز الذى أصيب فى عينيه وفقد البصر تقريبا أثناء العمليات. أرسلوه الى الخارج للعلاج وعاد بعين واحدة مبصرة. أصر على أن يعود الى الجبهة كى يحارب الصهاينة. يقول رفقاؤه ان هذا الرجل علمنا كيف نحتقر الخوف لأن الموت لا يحتقر. أسميت كراسة البطولات بكراسة العقيد محمد غنيم.

****

وديع الهجين

****

تضاءل معنى الخيانات التى عذبتنى، والعدالة التى افتقدتها وجئت هنا كى أبحث عنها وأنا أعرف أننى كاذب أخادع نفسى . تنام الى جوارى امرأة عارية تقول انها متزوجة. هذه هى المرأة التى توهب الحياة للبشر. التى تحب وتضحى وتبذل الغالى والرخيص فداء لفلذات كبدها ، وإرضاء لشهوات زوجها قبل شهواتها. هى ينبوع اللذة وبؤرة الفتن وأساس كل سعادة ومصيبة تحدث للرجل. انها رمز للدنيا .صورة مصغرة منها مجسدة فى صدر وذراعين وفخذين بينهما فجوة ملتهبة. لعلك أدركت بعد مرور زمن على تلك الليلة أنها – كما الدنيا – معذبة لمن أطاعها ، مهلكة لمن اتبعها ، غادرة لمن انقاد لها. انها سوف توصلك وتقطعك وتدعوك ثم تمتنع عنك فلا وصل ولا فصل يصيبك منها، ولا يأس ولا أمل. كل شىء فيها معلق على حبل رفيع. يختلط على الأمر كثيرا مع مرور الزمن بين المرأة والدنيا. هى أهم من أن تنسى وأتفه من أن تكون غاية. من استخدمها خدمته ومن خدمها استخدمته.

اذن فالدنيا اليوم بين أحضانك وقد كافأك القدر بدفئها واشتعالها الممتع ، بديلا عن تمزقك بين مشاعر الضياع والألم والخوف من المستقبل.

- اسمى سناء
- وأنا وديع
- أنت حقا وديع، لكن قل لى بصراحة هل استمتعت معى؟
- هذه متعة لم أعرفها من قبل، ولم أكن أتصور أنها بهذه الروعة. لكن لم تفعلين ذلك؟. هل تعرفين معنى الخيانة حتى تسهل عليك هكذا وانت متزوجة؟
- أعرفها حق المعرفة. أنا أخون زوجى مثلما يخوننى، بل وأجد متعة فى ذلك.

حقا ، انها أرشدتنى الى مكان العدالة التى جئت أبحث عنها ، والتى قادنى فيها فاسق بمحض صدفة ساخرة الى حياة جديدة لم تكن لتخطر على بالى من قبل.

أنت الذى اخترت بنفسك الصديق والمكان. لاتقل انها مصادفة أن تذكرت وحيد شرعان دونا عن كل أصدقائك. أنت الذى بحثت فى ذاكرتك عمن يصلح لأن تمارس معه الصعلكة والضياع حتى تنسى ، ولكن هيهات. ها هى المرة الأولى فى حياتك التى تضاجع فيها امرأة. أعرفت الآن لماذا اخترت الطريق والرفيق ، وانك كنت جاهلا الجهل كله بفنون التعامل مع المرأة روحا وجسدا!.. أنت لم تسألها حتى عن اسمها. لم تسامرها أو تؤانسها بكلمات لطيفة أو مداعبات رقيقة ، وإنما اندفعت تغوص فى لحمها الأبيض العارى ككلب مسعور حرم من الطعام سبعة وعشرين عاما.

حياؤك المرضى الذى ورثته عن أبيك المهذب ، جعلك تقف ذاهلا أمام امرأة تعرت بلا حياء رغم انها ليست عاهرة بالمعنى المفهوم. هى مجرد امرأة متزوجة عابثة. هى التى قامت بنزع ملابسك كى تحسم ترددك الغبى. طارت منك الرغبة بفعل الخجل الشديد الذى انقلب الى خوف فرحت تغطى عورتك بيديك كما لو كنت أنت الأنثى. لو سخرت منك لغادرت الغرفة على الفور ومحوت تلك التجربة من شريط ذكريات حياتك الى الأبد. كنت محظوظا اذ استوعبتك فاحتضنتك بحنان لم تعرف ان كان حقيقيا أم زائفا لزوم الموقف. رغم ذلك لم يتحسن وضعك ولم يتغير حالك، لولا لمحة خاطفة من حياء طبيعى فرضت نفسها على تعبيرات وجهها حين شرعت فى ارتداء قميصها وهى تقول:

- ولا تزعل. أنا ألبس القميص وأنت تخلعه عنى بنفسك

تم ما أرادت فاستعدت طبيعتى وعاودتنى الرغبة، فامرأة بلا حياء لاتضاجع!. يالغرورك وقد أصبحت تفتى فى شئون المرأة بعد أول لقاء جنسى معها مباشرة!!. هذا لايحق لك ياهذا الا على فراش الموت.

هل تذكر أول لقاء غرامى لك مع نبيلة حين كانت تحثك على الكلام بكل ما أوتيت من حيل حتى تستنطقك دون جدوى. كنت تراها صباح كل يوم وهى واقفة أمام بيتها تحمل حقيبتها المدرسية، بانتظار صديقتها التى تصطحبها يوميا الى المدرسة. تمر أمامك وكلك رغبة طاحنة أن تحييها ولو بإيماءة بسيطة على الأقل دون أن تنتظر منها رد التحية.لكنك كنت تعجز دائما عن ذلك بينما تتأملك فى دهشة واستغراب واستفهام وهى على وشك أن تتوسل اليك كى تلقى عليها تحية الصباح المنتظرة. تنظر على استحياء الى وجهها ثم تغض عنها بصرك الى الأرض على الفور.

عندما يئست البنت من صمتك العاجز ابتسمت مرة فى وجهك على أمل أن تبادلها الابتسامة، لكنك لم تستطع. ماهذه التربية البائسة التى زرعت الجبن فى طبعك؟..هل هو استبداد أمك بأبيك ومعايرته بالعجز والشيخوخة؟..هل كان صمته المهين أمام جبروتها وعنادها وتسلطها هو الذى جعل منك مسخة شاب يخاف تحية فتاة ويعجز عن أن يبادلها الابتسامة؟.. فى النهاية لم تجد نبيلة بدا من المبادرة بالتحية حين استوقفتك لتسألك عن اسمك وكليتك ودراستك وأحوالك وانت تتعثر فى الإجابة على أسئلتها كتلميذ بليد.

أسئلة ذات القميص الأسود متشابهة تماما مع أسئلة نبيلة، تطلقها عليك حتى تذيب حياءك المقيت. الفارق أن الثانية كانت ترتدى الزى المدرسى وتحتضن حقيبتها على صدرها ،أما الأولى فكانت عارية كما ولدتها أمها.

****

لأن أباه عميد الكلية كان عنده أمرا عاديا وطبيعيا أن يأخذ مكانى ويستولى على تعب سنينى واجتهادى ويسلب منى أملى فى المستقبل. ولأن أبى لايتاجر مع الطلبة بعلمه، ولأننى ظللت أبحث عن عمل لما يقرب من سنوات ثلاث بلا وساطة دون جدوى، ولأننى كرهت كلمة الوطن ومعنى المواطنة حين تكون بمثابة عقد موقع من طرف واحد دون الطرف الثانى ، فما كان ينبغى أن أندهش وأنزعج هكذا لمقولة أبى:

- يابنى أنا يامولاى كما خلقتنى

يا ذات القميص الأسود والردفين الناعمين المستديرين والثديين النافرين كثدييى فتاة فى العشرين، دلينى برب العدالة العادل ماذا أفعل بنفسى قبل أن تدلينى كيف أفعل بك ما ينبغى فعله بينما يركبنى الحياء والجهل وأنا ملتهب لدرجة الاشتعال ، غائص فى لحمك الطرى بلا خبرة سابقة، أكاد أغرق فى خجلى وعرقى وارتباكى وذهولى. عليك اللعنة أيها الصديق. نجحت فى أن تنشلنى من كابوس يأسى بكلمتين منك وصهلولة صاخبة من ذات الفخذين المفتوحتين المرعبتين. خمر وزنا. حرام فى حرام. لو علم أبى بما يحدث الآن لبكى حزنا على حالى ثم انصرف الى مكتبته الموسيقية ليستمع الى أغنية تريح أعصابه ، وتهون عليه مصيبته فى ابنه الذى تعلم الفسق. أما لو علمت أمى فلن تهتم بشأنى ، فهى لاتهتم الا بنفسها. فى الأغلب أنها ستوبخ زوجها وتحمله مسئولية سوء اخلاقى ، وهى آخر من يحق له الكلام عن الأخلاق.

سبعون عاما يا أبى ولا تملك أى مدخرات بالبنك؟!..قرناؤك فى كل جامعات الدنيا يمتلكون الفيلا والعربة والمصيف والرصيد الاحتياطى من النقد. زوجتك المبذرة المتلافة ساهمت بالقسط الأكبر فى هذه المأساة وانت لاتعترض الا بصوت خفيض. أم أنها طبيعة هذا البلد الذى نعيش فيه ونسميه الوطن، والتى تسمح بكل هذا الخلل فى شئون الحياة والناس؟.. دندن يا عم توفيق وترنم كما تشاء بأغنيتك المفضلة لعبد الوهاب:

"انت و عزولى وزمانى حرام عليك"

تحول أنانيتى كشاب يبحث عن مستقبله فى جو غائم عاصف ، دون أن أفكر فى مأساتك التى تعذبنى ربما أكثرمما تعذبك. كلنا نختار ثم نلقى باللوم بعد ذلك على القدر. أنت الذى اخترت زوجة تصغرك بعشرين عاما. انبهرت بأستاذيتك وهى تستمع بشغف شديد الى

محاضراتك عن سقراط وأفلاطون وأرسطو وابن خلدون وطه حسين ، فتكاد تحفظ أجزاء منها عن ظهر قلب. لست أول رجل تخدعه امرأة – وتخدع نفسها - بقولها:

- فارق السن لايهم، فأنا أحبك وسأظل أحبك الى الأبد

نعم ياوحيد ياشرعان كانت تهيم فى حبه وهى فاقدة عقلها، فلما عجز عن القيام بواجبه تجاهها كرجل ، صار عندها محتقرا. كان من المنطقى بحكم علمه وثقافته أن يكون واعيا بمستقبله معها قبل الارتباط ، لكنه لدوافع لست أعرفها تجاهل وعيه وأغمض عينيه عن الحقيقة وغاص فى اللحم كما كنت أغوص منذ قليل. كان ومازال – رغم وعيه – ساذجا كطفل. انى أحب هذا الرجل بشدة.

لعبت خمر وحيد الثمينة برأسى فقلت له بصدق والابتسامة البريئة تعلو وجهى بفعل الكحول وسجائر الحشيش:

- انى أحسدك على حياتك هذه
- لماذا؟
- لأنى أراها متوافقة تماما مع حياة تخلو من العقل والعدل
- هل قلت العقل والعدل؟
- والله نسيت. لم تبق فى ذاكرتى الا الخيانة. ما أبشعها
- أصابك تفاعل الويسكى مع البيرة بحالة من التخريف الفلسفى

أصابتنى بالفعل حالة من غيبوبة كحولية تفوح برائحة الوساطة والظلم والبطالة وخيانة الحبيبة والصديق والأم والمجتمع ، فتولى ملياردير مجنون بلطجى رئاسة أقوى دولة فى العالم ليصبح بحق أو بلا حق أقوى رجل فى العالم ماديا وجسمانيا وصحيا وسلطة وجاه وعظمة ، حتى أنى أشعر تجاهه بحقد جعلنى أتشفى بشدة فى مصرع الكلب اليمنى الذى تحدى ارادة شعبه فتسبب فى خراب بلاده، وكان تمساح كبير قد ظهر فجأة على ضفة النيل وانقض على المرأة الأنيقة ساحبا اياها بين فكيه الرهيبين الى عمق النيل حتى يفترسها فى هدوء ، حين تحدثت الأرواح المتسامية فى ذلك الوقت وفى كل وقت بلغة سرمدية غامضة تستمد مفرداتها من عالم المطلق ، وسبحان مالك الملك والملكوت.أما الثعابين فقد سرحت فى الصحراء بسمها القاتل ومعها الطريشة الرهيبة ، حين لعبت الكيمياء دورا جوهريا فى تفاعل صقر الاسكندرانى مع الحياة السياسية فى بلادنا ، فقاطع الغرب السياحة عندنا منذ سقوط طائرة الركاب الروسية ومقتل أكثر من ثلاثمائة روسى فى سيناء أرض المشاكل والمصائب وحلم اسرائيل فى زرع الفلسطينيين بها بعد طردهم النهائى من الضفة وغزة، والذى أصبح تحقيقه قريب المنال بفضل خيبة حكامنا العرب ووساختهم ، وبفضل المجنون الأمريكى الذى اعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل ، وبفضل الأمير القطرى الذى ينفق مليارات الدولارات على هوايته المريضة فى قتل البشر وبصفة خاصة المصريين. المليارات التى وهبها الله لشعب قطر بتخزين الغاز والبترول فى أرضها بكميات مهولة ، استولى عليها لابس العقال هذا – والمتفرنج أحيانا – ومثله فى ذلك يفعل سائر الشيوخ والملوك والأمراء العرب الذين يعتبرون هذا العائد منحة الهية لشخوصهم ، وقيل انهم حزنوا كثيرا على وفاة عدد كبير من الفنانين المصريين فجأة مثل فاتن حمامة وعمر الشريف ونور الشريف ومحمود عبد العزيز وحسن مصطفى وآخرهم سعيد طرابيك الذى فعل مثلما فعل أبى بأن تزوج من امرأة تصغره بعشرين عاما فقتله الحب الذى لم يصمد أمام جسده المنهك .. هذا وقد ظلت تلك الأفكار والأحداث التى لاعلاقة لبعضها بالبعض تناوش رأسى حتى أفقت من غيبوبتى على قطعة كبيرة من الثلج يدلك بها وحيد وجهى وقد وضع امامى كوبا كبيرا من القهوة الثقيلة وقال لى:

- اشرب القهوة حتى تفيق يا تحفة وتعى ما تقول
- ماذا قلت؟
- حكيت لى مجموعة من الأفلام الهندية التراجيدية وأنت سكران ، بما يؤكد على أن حياتك أنت هى التى تخلو من العقل والعدل ، ويدفعنى الى الشك فى صدق ايمانك

- **ياسلام على الحكمة**
- **لقد كاد فكرك أن يتقارب مع فكرى حول مسألة الإيمان ، والأهم من ذلك كله أن الحشيش نفد ، وأننا لن نستطيع أن ننعم بنشوة غيبوبته مالم نذهب فورا الى واحد من عشاق عالم الغيب**
- **ماهذا الكلام؟أنا لا أفهم شيئا.لقد سكرت أكثر منى فمزجت الغيبوبة بالغيب**
- **الاثنان واحد ياعزيزى ، وأنا أشترى الحشيش من الشيخ مرشدى، فقوة حشيشه لاتقل عن قوة ايمانه، وأنت مكتئب وبحاجة الى المسخرة كما تعنى الكلمة.**

****

لولا مرشدى لما عرفت الأمـــــــــير!!!!

ضئيل نحيف قليل قصير. ذقنه أكبر ما فى جسمه. عيناه تشعان شررا أصفر.وجهه لايجيد الابتسام ، وإن ابتسم فهى ابتسامة كاذبة وأعرض مما ينبغى فى تكلف بغيض. عندما عرفت من وحيد انه تاجر مخدرات سألته فى دهشة:

- **كيف تجتمع تجارة المخدرات مع اللحية الطويلة والزنوبة والجلباب القصير؟**
- **لا تندهش فحشيشه اسلامى**
- **أنا لا أهرج. أرجوك أوضح لى الأمر**
- **الحق أننى لا أعرف حقيقة هذا الدجال المهرج ان كان يفك الأعمال كما يدعى ويشوف البخت للسذج الذين يلجاون اليه، أم انه تاجر مخدرات يتخفى فى هذه الصورة**
- **واضح أنه داهية**
- **لا أحد يعرف حقيقته حتى الآن وإن كان هناك ما يشبه الإجماع بين المحيطين به على انه رجل مبارك من أهل الله!**
- **من أهل الله ويبيع لك الحشيش؟!**
- **لاتكبر الموضوع فلديه مبرر إيمانى قوى لذلك**
- **ياوحيد لاتسمح لفسقك بالإساءة الى الإيمان والمؤمنين. أى مبرر هذا الذى يدعيه؟**
- **يقول انه يمول جماعته الاسلامية من عائد البيع**
- **هذه مسرحية عبثية**
- **أنا لا أستبعد أن يكون الأمر كذلك ، ولا أتعجب أيضا**
- **كيف؟**
- **لأنهم تحت نفس المبرر يهاجمون محلات الذهب التى يمتلكها الأقباط ويستولون على مابها من مال ومصاغ باعتبارها غنيمة من المشركين تحق لهم**
- **لكنها سرقة علنية يعاقب عليها القانون**
- **كل هذه الأمور لاتعنينى.المهم أنه يبيع لى حشيشا جيدا غير مضروب**
- **أهذا ماتعلمته من أبيك؟!**
- **أنا لم أتعلم شيئا من أبى ومن جيله الا الفساد**

ممارسة الانحراف بشتى أنواعه متعة فريدة لم أجربها من قبل. ينصهر الجد فى الهزل وتفقد الأشياء قيمتها أمام الصخب واللامبالاة. اصطحبنى وحيد الى ملهى ليلى يعج بالساقطات بعد أن شربنا كثيرا وبدأنا فى التحرر من الضوابط والأعراف. راح يشرح لرواد الخمارة بلغة اختلطت فيها العربية بالانجليزية المتقنة عن الفارق بين التحديث والتغريب وهو يقهقهون ويتطوحون.ثم اتجه الى الراقصة الشهيرة انشراح وراح يشرح لها بنفس الحماس الفرق بين الأصالة والمعاصرة وقد انعكس جهلها الواضح بما يقول على سرعة ارتعاشات بطنها والتواءات خصرها واهتزازات مؤخرتها وانهيال أوراق البنكنوت على نهديها . كان عواد الفرقة ينظر فى سخرية الى تساقط هذه الأوراق على خشبة المسرح وريشته تتقافز بخفة على الأوتار، متنقلا بين المقامات الموسيقية بخبرة عمره ليبعث فى الكون بأنغام شجية تذيب أحزان الدنيا فى أفراحها، وأنا لا أستبعد أنه ربما كان يفكر فى تلك اللحظات بانسداد ماسورة الصرف

الصحى وطفح القاذورات على أرض مسكنه ، وياسلام لو ربنا أكرمنا بقرشين نحل بهما الأزمة وياليل الصب متى غده ، ويا عينى عليك يا كل من فهمت لتسرب الزمن معنـى وللأيـام والحيـاة منهاجا.

****

راويـــه هيكل

****

سبق لى أن التقيت بوليم سارتو عدة مرات فى مناسبات اعلامية مختلفة. أتابع بإعجاب مقالاته التى يبعث بها الى جريدته الأمريكية إذ يعمل مراسلا لها فى مصر. يكتب وليم باحتراف مهنى وإتقان شديد فى جمع المعلومات وتربيطها حتى يوظفها فى النهاية لخدمة الهدف الذى يسعى اليه. ملامحه تجمع بين الشرق والغرب. يتجلى ذلك فى وجه خمرى وعينين عسليتين لامعتين تشعان ذكاء وشقاوة. عرفت فيما بعد أن أمه أسبانية. رغم انجذابى اليه الا أننى لم أعره انتباها ملفتا دون أن أعرف السبب فى ذلك. لم أكن أعلم أو أشعر بشىء مما يكنه تجاهى من مشاعر وأحاسيس. كنا نثرثر كلما التقينا حول حدث من أحداث منطقتنا العربية المشتعلة بالفوضى والقنابل والدماء. لكنى توقفت هذه المرة طويلا أمام مقاله الذى كتب فيه عن التفاصيل الكاملة للعثور على رفات واحد وعشرين قبطيا مصريا فى مدينة سرت الليبية. كتب يقول:

التقيت بأحد عناصر داعش الذى كان شاهد عيان على الجريمة المروعة ، حيث كان جالسا خلف كاميرات التصوير ساعة الذبح، كما كان حاضرا ساعة دفنهم جنوب سرت. قال الشـــاهد:

" كنت نائما بمقر ديوان الهجرة والحدود بمنطقة السبعة. أيقظنى أمير الديوان هاشم أبو سدرة وطلب منى تجهيز سيارته وتوفير معدات حفر ، ليتوجه كلانا الى شاطىء البحر خلف فندق المهارى. عند وصولنا للمكان شاهدت عددا من أفراد التنظيم الذين يرتدون الزى الأسود الموحد ومعهم واحد وعشرون شخصا آخرين بزى برتقالى ، اتضح أنهم مصريون ، ماعدا واحد منهم إفريقى. وقفت مع الواقفين خلف آلات التصوير وعلى رأسهم أبو المغيرة القحطانى والى شمال أفريقيا. عرفت من الحاضرين أن مشهدا لذبح مسيحيين سيتم تنفيذه لإخراجه فى إصدار للتنظيم. كانت الطقوس الجنائزية قد بدأت لتصبح إصدارا مرئيا الغرض منه أن يصيب العالم بالرعب من تنظيم داعش.

تمت عملية الذبح بقسوة لا إنسانية غير مسبوقة فى تاريخ البشرية ، بغير رحمة ولا شفقة ولا ذرة من الاحساس أو الشعور الآدمى. ثم وضعت الرؤوس فوق الأجساد ووقف الجميع. بعد انتهاء العملية أزال الذين شاركوا فى الذبح أقنعتهم فتعرفت من بينهم على أبى عامر الجنزورى قائد المجموعة وهو من كان يلوح بالحربة ويتحدث فى الاصدار بالانجليزية. أمرنى بإخلاء الموقع. كانت مهمتى أخذ بعض الجثث بسيارتى لدفن القتلى جنوب سرت فى المنطقة الواقعة بين خشوم الخيل وطريق النهر."

كانت هذه الشهادة الهامة هى التى قادت النيابة المصرية العامة الى مكان دفن الجثث حيث تم الكشف عليها فيما بعد ، لتستكمل باقى الإجراءات بتحديد الحمض النووى لكل جثة قبل تسليمها الى ذويها.

دلت التحريات على أن قائد المذبحة يعرف بالديناصور ، وهو من أصول فلسطينية من مدينة رام الله وتخرج فى كلية الآداب قسم الجغرافيا فى جامعة عمر المختار بدرنة عام2005. كان سجينا سابقا فى سجن بوسليم عام 2007 وخرج عقب أحداث ثورة 25 يناير2011 بعدما اقتحم مسلحون من منظمة حماس الفلسطينية السجن وأخرجوا السجناء، حيث انضم بعد ذلك الى تنظيم أنصار الشريعة. كان واضحا من سلوكه ونظرات عينيه ونبرات صوته أنه يقدس مشاعر الحقد والكراهية تجاه البشر.

كما اتضح أن قيادات التنظيم فى سورية قد أرسلت معدات تصوير ذات تقنية حديثة خصيصا لتصوير المذبحة. كان المصورون عربا ، أما الكاميرات فقد أحضرت من تركيا عبر مطار معتيقية الليبى."

وقد علق وليم سارتو على المجزرة قائلا:

"الكاميرات من تركيا الاسلامية ، والقيادة من سورية الاسلامية ، وديناصور المذبحة المجرم من فلسطين الاسلامية ، وكذلك الضحايا من مصر الاسلامية!!!.. لقد ثار المسلمون على الرئيس الأمريكى السابق الذى طالب بحذف بعض الآيات من قرآن المسلمين التى تحث على قتل غير المسلمين الذين يسمونهم الكفار. أعتقد أن الرجل كان محقا فيما طالب به، ورغم ذلك فأنا واثق أن جوهر القرآن يستحيل أن يحث على مثل هذه الوسيلة الوحشية فى قتل الأعداء ، لكننى لم أعد واثقا بنفس القدر أن الاسلام دين تسامح ومحبة وسلام - كما فهمت من القرآن – بعدما شهدت عبر السنوات الماضية من أحداث ارهابية دامية لايقوم بها الا مسلمون يفجرون العربات فى الناس ويقذفون المدنيين بالقنابل فى عمليات يسمونها فدائية أحيانا وجهادية أحيانا أخرى، حتى بلغ بهم الأمر أن يفخخوا أنفسهم بالمتفجرات لتتناثر أشلاؤهم وتختلط بأشلاء ضحاياهم فى عبث جنونى خارج نطاق العقل والمعقول."

يوم نشر هذا المقال سألته:

- **لماذا تكره الاسلام الى هذه الدرجة يا وليم؟**
- **ألا تكفى المجزرة الأخيرة سببا لذلك؟**
- **عهدى بك الموضوعية فيما تكتب، فالاسلام شىء والمسلمون شىء آخر**
- **من فضلك ياراوية احترمى عقليتى**
- **صدقنى أنا آخر من يمكن ألا يحترم عقليتك. على العكس أنا شديدة الاعجاب بك ، لكن اسمح لى أن أوضح لك ما قصدته من قولى**
- **هل تمانعين فى دعوتك لفنجان من القهوة معى حتى نتحدث بحرية أكثر؟**

****

لا أفهم أشياء كثيرة تحدث فى الحياة أكثر من مرة وبنفس الطريقة وعلى نفس المنوال دون سبب يذكر ودون وجود علاقة تربط بين هذه الأشياء. فقد جرى حوار مشابه لحوارى مع وليم بينى وبين فريد زين الدين المحرر الثقافى بجريدة المعارضة التى أعمل بها، والذى لايقل عنى كفاءة فى عمله إن لم يتفوق على فى بعض الأحيان. الغريب أيضا أن انجذابى الى فريد لايقل عن انجذابى الى وليم الأمريكى. ماكان بينى وبين صقر تجاوز الانجذاب الى ماهو أقوى وأروع من ذلك. كان عالمى وبصرى وسمعى ، وإن لم أكن له كذلك ، وكنت راضية. لم أرى أحدا فى الكون مثلما رأيته ولم يكن يرانى كذلك ، وكنت راضية. الديكتاتور الحالم تركنى و تزوج من غيرى ثم مات ، وإن ظل بالنسبة لى حيا لم يمت فى ذاكرتى وذكرياتى وضميرى.

مثلما دعانى وليم لتناول القهوة معه، دعانى فريد أيضا وإن اختلفت المناسبة. كنت قد بدأت أنشر قصصا قصيرة فى الجريدة الى جانب مقالاتى وتحقيقاتى الصحافية التى كان أغلبها يتناول موضوع الارهاب والتطرف. أمامى هدف لايغيب عن عينى هو انقاذ شبابنا من الوقوع فى فخاخ الظلاميين الذين يغسلون أدمغتهم ويجذبونهم الى طريق العنف والدماء تحت شعار الاسلام. سألنى فريد:

- **هل يغضبك أن أنقد قصصك القصيرة؟**
- **بالعكس. هذا يسعدنى لأنى سأستفيد منه ، خاصة وأنك فأر قراءة كما يقولون عنك فى الجريدة**
- **أولا: أرى فى كتاباتك كثيرا من العبثية. يبدو أنك متأثرة بالفكر الوجودى**
- **ملاحظتك صحيحة لكنى لا أعتقد الا فى الفكر الوجودى المؤمن**
- **ثانيا: لديك ولع شديد بالتعرض للأديان لا لمخالفتها ، وإنما للتعامل مع جوهرها فقط دون أدنى اهتمام بطقوسها المختلفة**
- **هذا صحيح أيضا لأن الشكل لايعنينى بقدر ما يعنينى المضمون ، وأعتقد انك لاتختلف معى فى أن جوهر الأديان الثلاثة واحد**

- مادمت لاتعترضين على آرائى فاسمحى لى أن أسألك سؤالا شخصيا قد لايكون لدى الحق فى طرحه عليك ، لكن الفضول الصحافى يغلب على
- تفضل. اسأل ولا يهمك
- ماهو موقفك الحقيقى الصريح من الدين؟
- أنا أومن بالأديان الثلاثة ولكن على طريقتى الخاصة بينى وبين الله الذى نزلها

****

قال لى وليم سارتو:

- أنتم يا مسلمون تدعون...

قاطعته على الفور:

- من فضلك لا تقل لى أنتم ، فأنا لست أمثل المسلمين ، ولا أحد يملك الادعاء بأنه يمثلهم
- معذرة. أقصد أن المسلمين يدعون أنهم خير أمة أخرجت للناس.. ألا يقول القرآن بذلك؟
- بلى
- لكن العالم الاسلامى بعد مرور أربعة عشر قرنا على نزول الرسالة مازال أكثر الأمم تخلفا وفقرا وجهلا وانغماسا فى حروب لامعنى لها
- دعك من مسألة خير أمة ، فالمسيحيون يتباهون بأنهم أبناء الله ، واليهود يفتخرون بأنهم شعب الله المختار..لكن ما رأيك الشخصى فى أسباب تخلف المسلمين؟
- جهل الشعوب وانعدام وعيهم ودكتاتورية حكامهم الذين يسرقون ثرواتهم باسم الدين. معظم الحكومات العربية ذات حكم دينى شمولى لايعترف بالديموقراطية ويرى فى العلمانية كفرا

كلما تحاورت مع وليم ازددت اقترابا منه وتفهما لمنطق تفكيره. أعجبنى هذا الرجل كثيرا وتمنيت لو كان مصريا يحمل هذا الفكر المتقدم. كبريائى يدفن شوقى للالتصاق به والابحار معه فى موانئه الفكرية. هكذا أنا. أحب أن يحبنى الرجال لكنى لا أعرف كيف أحبهم فيطيرون من بين يدى. أتعجب لماذا يصر الرجال على القول بأن المرأة لغز بينما أعتقد أن الرجل حقا هو اللغز. دليلى على ذلك أن صقر تزوج من ألطاف. ربما تكون قد ضربت على وتره الحساس بأن أتقنت عليه تمثيل دور عاشقة الوطن مثله ، والله أعلم. ورغم ذلك فأنا لايدخل دماغى أن هذا سببا كافيا لتفضيلها على.

قلت لفريد:

- أفكر جديا فى كتابة رواية طويلة
- شىء بديع. ما مضمونها؟
- تخلف العالم الاسلامى عن ركب الحضارة العالمى بسبب خلط الدين – وهو مطلق – بالسياسة ، وهى نسبية
- وهل أنت واثقة من وجود جمهور تعنيه قراءة مثل هذه الأعمال الفكرية الجافة؟
- لماذا لا أجرب؟
- من المؤكد أنك تعلمين أن توزيع الكتب الأدبية فى مصر منخفض للغاية ، فالناس قد انصرفوا عن الكتاب منذ سنين
- لاتحبطنى من فضلك. اعطنى سيجارة. سجائر علبتى نفدت

أشعل لى سيجارة وسألنى:

- هل أطلب لك علبة من البيرة أم أنها حرام فى عرفك؟
- البيرة ليست حراما طالما لم يصل شاربها الى حد السكر
- الله أكبر..فلنشرب معا!

****

أما وديع الهجين فلم يدعنى لتناول القهوة معه كما فعل وليم وفريد ، إنما دعانى الى شىء غريب هو أن أتحجب.لم يفهم أن صداقتى معه لا تسمح له أن يقدم لى مثل هذه النصيحة ،

خاصة وأن صياغتها كانت تحمل قدرا من الوصاية. كان يحاول التلطف معى دائما على طريقته الساذجة ، لكن شيئا الهيا خافيا فى نفسى كان يجعلنى أنفر منه وأتحاشاه فى كثير من الأحيان. كان إعجابه بى مشوبا بشىء من الغباء فى أسلوب توصيل هذا الإعجاب. قلت له فى أدب شديد:

- **وما شأنك أنت ياوديع بهذه المسألة؟!**
- **هى مجرد نصيحة لوجه الله**
- **قد أستجيب لنصيحتك لو قلت لى بأى صفة توجهها الى ، فلست أبى أو خطيبى أو الوصى على**
- **نعم لكنى مسلم مثلك ومن واجبى الدفاع عن الاسلام**

انتابتنى رغبة شديدة فى أن أصفعه على وجهه لشدة صفاقته وفساد منطقه ، لكنى اخترت ألا أخسره فحولت الأمر الى فكاهة:

- **كبر دماغك ياوديع وشف لك واحدة غيرى تنصحها**
- **أنا أنصح كل من أحبهم ويعنينى أمر التزامهم بقواعد الدين**
- **قلت لك أن تنصح غيرى ياشيخ الاسلام ، أم تريد تحديدا أكثر؟**
- **لا أفهم ماذا تقصدين**
- **أقصد أن تبدأ أولا بنصيحة أمك ، فهى حسب علمى غير محجبة**

تعثر فى خجله قال كلمات مرتبكة فعاجلته بضربة أخرى:

- **ياعم وديع انصح نفسك الأول**
- **بإيه؟**
- **لك أكثر من عامين تقريبا بلا عمل. أم انك سعيد ببطالتك؟**
- **وبماذا تنصحينى؟**
- **أن تجد عملا بالطبع**
- **بحثت فلم أجد**
- **فى كل مصر لم تجد عملا؟!!.. أنا لا يمكن أن أصدق ذلك**

سكت ولم يرد فواصلت:

-حتى لو لم تجد عملا فى ربوع مصر كلها ،لماذا لم تسافر الى بلد آخر؟..ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟!

****

صقر الاسكندرانى

****

يقول الناس اننى أبالغ فى حب وطنى فوق ما ينبغى. أقول لهم كيف لا أعشق وطنا يتولى فيه المقدم مدحت مرسى – على نفقته الخاصة - رعاية عائلة جندى تم أسره فى العمليات تاركا زوجة وأطفالا بلا عائل؟.. عقب استشهاده بيوم واحد توفت زوجته رافضة الحياة من بعده. جهزها المقدم مدحت ودفنها وأقام لها صوان عزاء وقف أمامه يستقبل المعزين. كان يستقطع كل شهر – كما تأكدت بنفسى – من راتبه ينفقه على تعليم الأولاد فى المدارس لمدة سنوات ثلاث حتى عاد أبوهم من الأسر.

****

أحيانا أتصور أن وجودى لم يكن يشكل أهمية تذكر مالم أكرسه للقضاء على أعداء وطنى، وإلا أصبح حملا ثقيلا على نفسى مشحونا بالعذاب والتعذيب. لاراحة لى الا فى الموت رغم حبى للحياة كسائر البشر ، ورغم أمنيتى أثناء كل عملية أن أعود الى سامح وسماح وألطاف. فى اللحظات المصيرية أجد نفسى غائصا فى غياهب الماضى البعيد ، فأتذكر أشياء غريبة وعجيبة ذات صلة حقيقية بوجودى ، لكنى أنظر اليها كما لو كانت حدثت أو مازالت تحدث لشخص آخر غيرى لا صلة لى به. أشياء قد تبدو غير متصلة ببعضها ، لكنها تشكل فى ظنى عالما طينيا متكاملا.

الوطن الذى يجثم فيه العقيد مصطفى كامل على ركبتيه ويأمر الجندى المصاب بالصعود على كتفه ، رافضا أن يحمله احد غيره ليجرى به مسافة خمسمائة متر حتى يصل الى العربة التى ستقله الى المستشفى ، لهو وطن جدير بالتقديس لا العشق.

قال فلاح بسيط من أبناء هذا الوطن الذى لاتعترف به الجماعات المتأسلمة:

- أنا أعرف كيف أجعل الجمل يعوم !

حاولت بعض كتائب الاستطلاع استغلال الجمال فى نقل قنابل ومدافع الى الضفة الشرقية فلم توفق لأن الجمل كان يغطس فى القناة تحت وطأة حمله من الذخيرة. خلع هذا الفلاح ملابسه ونزل الى القناة. أمسك بذيل الجمل وشده الى أسفل ، فإذا بالجمل يطفو ويعوم حاملا عدة قذائف بازوكا وكاتيوشا حتى وصل فى يسر الى الضفة الشرقية.

عندما نجحت التجربة عممت وتكررت مرات عديدة دون أن يفطن لها الاسرائيليون، حتى اكتشفوا الخدعة ذات يوم فانقضوا بطائراتهم ومظلاتهم على مجموعة الشيخ حسين المسعودى المجاهد السيناوى العظيم . أسروه هو ومن معه من مجاهدين سيناويين.رفض الاسرائيليون معاملتهم كأسرى حرب عسكريين ، لاعتبارهم مواطنيين مدنيين. وجه اليهم المدعى العام الاسرائيلى التهم الآتية:

أولا: حيازة أسلحة فتاكة لقتل النساء والأطفال الذين لايعرفون من الدنيا الا الابتسامة البريئة!!

ثانيا: عبور قناة السويس بدون إذن من اسرائيل.

ثالثا: التعاون مع الجيش المصرى ضد الجيش الاسرائيلى.

طلب الشيخ حسين الكلمة من القاضى الاسرائيلى، وهو مجاهد حقيقى كما تعنى الكلمة، لأنه يحارب العدو المحتل ، وليس مجاهدا على طريقة الجماعات التى تحارب أبناء وطنها. قال المجاهد للقاضى:

- اننا عبرنا الى ضفة سيناء الشرقية مع الجنود بإرادتنا الحرة ولم يجبرنا أحد على ذلك، وعلى حد علمى فإنه لايوجد فى سيناء نساء ولا أطفال اسرائيليين لايعرفون من الدنيا الا الابتسامة البريئة!!. كما أننى أحب أن أسألك : هل حصل الجيش الاسرائيلى على إذن مسبق من مصر حين عبر الأجواء المصرية وقتل الأطفال فى مدرسة بحر البقر بكل همجية ووحشية؟!

بلغت مجموعة الأحكام بالسجن عن التهم الثلاثة مايقرب من مائتى عام، ولولا أن تم تبادل للأسرى بين مصر واسرائيل بعد القبض على الجاسوس باروخ كوهين لمتّ أنا ورفاقى جميعا فى سجون اسرائيل.

المجند حسام جمال الدين ابن محافظة الفيوم المولود عام1994 ، عندما كان فى حراسة كمين سدرة أبو حجاج بشمال سيناء ، شاهد سيارة تقترب محاولة اقتحام الكمين فأطلق عليها الرصاص بعد أن رفض قائدها الامتثال للأمر بالتوقف. كانت السيارة مفخخة بنحو نصف طن من المتفجرات. اقترب منها البطل وواصل اطلاق النار عليها من مسافة قريبة حتى انفجرت. كانت النتيجة استشهاده وتناثر أشلاء جسده الطاهر على أرض الكمين، منقذا زملاءه من الموت. كان عددهم ستة وعشرون ضابطا وجنديا.

أدرك حسام ما كان يجب أن يفعله فى اللحظة المناسبة بوازع من وطنيته. رأى حياته رخيصة حين قرر التضحية بها من أجل إنقاذ بنى وطنه ويجلس خليفة المسلمين المنتظر بداخل مدرعة وتحت مؤخرته خازوق اسمه وهم الخلافة. يقال انهم سوف يستوردونه من تركيا بلد الخلافة التى ألغاها أتاتورك وهاجمها وسخر منها محمد عبده وعلى عبد الرازق. على مائدة الخليفة زجاجة ويسكى من نوع فاخر ، وقد أصابت فكره الشيخوخة فلم يستطع أن يفعل شيئا ، رغم أنه هناك من يمده ويدعمه بالأموال الطائلة كراهية فى مصر والمصريين دون سبب مفهوم. تظل ذكريات الماضى البعيد ضاغطة على انفاسه ونبضاته، فالماضى لايمكن أن يعود، وحتى لو حاول أنصار الخلافة الموهومة إجبار هذا الماضى على العودة ، فسوف يكون طعمه ماسخا وشكله شائها ، كما أنه سوف يكون مدعاة للحزن والرثاء وسخرية الآخرين الذين أصبحوا يتعاملون معنا على أننا كائنات على وشك الانقراض والتحول الى حفريات تاريخية.

كراسة غنيم هى مصدر إمدادى بالعزم والطاقة. هى البطارية التى تشحن ارادتى لمواصلة الدفاع عن أرضى الجميلة ضد هؤلاء الذين يكنون لها عداوة تفوق عداوة الصهاينة لهم ، وعداوتهم للصهاينة.لقد لخصت قضية هذه الجماعة فى كراسة غنيم بقولى إنهم قرروا إما أن يحكموا المصريين وإما يقتلونهم. كل ما بالكراسة من أحداث ومواقف وعمليات عسكرية تؤكد جميعا أنهم قوم جبناء ، يتهربون من المواجهة فيطعنون من الظهر ويهربون ، فقبيلتهم تتسم بالخسة والنذالة ، والاسلام منها والانسانية براء وقالت لى راوية ان الرجال السذج يعتقدون أن المرأة أكثر رومانسية من الرجل ، فالصحيح أنها أكثر واقعية منه. لكنها اعترفت فى الوقت ذاته بأنه ما من مصيبة تحل برجل الا ويكون وراءها امرأة ، وأتعجب من رجل يتبرأ من الحق فيتآمر ويغتصب الحقوق مخادعا انسانيته لمجرد أن يتمتع بالجلوس على مقعد معين فى حجرة معينة بمبنى معين لأجل مسمى لايعرف توقيته. يتصور فقط أنه سيد وكبير ومتميز ومتفرد وعال فى الأرض. العبد الحقيقى الطائع لسيد يكفل له قوت يومه ويكون راضيا ، يبدو فى رأيى أكثر تعقلا واحتراما منه، وربما كان أكثر سعادة. حتى الآن أنا لا أعرف ماذا بعد أن أصبح أغنى الناس وأشهرهم وأعلمهم وأعظمهم جاها وسلطة.ماذا بعد؟!.. الناس الذين أحببتهم وماتوا كثيرون. يحز فى نفسى أننى لن أستطيع رؤيتهم مرة ثانية قبل أن أبعث من جديد.

لايمكن لمخلوق أن يحافظ فى حياته على شعور دائم بالفرح والبهجة ولو لعدة ساعات كل يوم من عمره .التقلص والانكماش والتقهقر سنة كل شىء ثم الزوال فى الخاتمة ، وهل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا. كيف بالله عليكم أيها الآدميون أن تقتلونا لمجرد اعتقادكم أنكم أصحاب الحقيقة الواحدة المطلقة وأن ما دونكم كافر يستحق الموت؟. هكذا يصبح الغرب له العذر حين يحتقر المسلمين ويصفهم بالتخلف والهمجية.وقد نجح جندى آخر فى إحباط عملية ارهابية كانت تستهدف احدى كمائن القوات المسلحة جنوب العريش ، والتى كانت ستسفر عن خسائر جسيمة فى الأرواح تصل الى استشهاد مايقرب من ستين فردا من العسكريين والمدنيين.

عندما شاهد البطل سيارة دفع رباعية مفخخة تتجه نحو الكمين تحرك على الفور بدبابته تجاهها وقام بدهسها تماما وهو يعلم تمام العلم أنها ستنفجر فيه ، وهذا ماحدث حيث استشهد معه سبعة من المدنيين تصادف وجودهم بجوار الكمين أثناء الانفجار.

أما الجندى محمد أيمن فقد كان ضمن أبطال الصاعقة الذين داهموا منطقة زارع الخير فى حى المساعيد بمدينة العريش، وفور نزوله من العربة الهامر فى مقدمة القوة بادره تكفيرى مجرم بمحاولة الهجوم على القوات وكان يرتدى حزاما ناسفا. بدون تردد احتضنه أيمن وشدد قبضة ذراعيه عليه لينفجرا معا وينقذ زملاءه الجنود بنى وطنه.

دنيا الأغيار هذه محتشدة بالأعاجيب والأسرار، منها أن الشهوة زمنها غاية فى القصر وكلما ازدادت حدتها ازدادت سرعة انطفاء جذوتها ثم أعقبها النسيان وكأن شيئا لم يكن. أما المسرات فتقول راوية إنها شبيهة بالأحزان وغالبا ماتكون خيبة الأمل هى الحصيلة الأخيرة فى كل الأحوال. رغم ذلك فالقتل لايتوقف أبدا بالرصاص والمدافع والغازات السامة والهراوات الغليظة والأقلام والقنابل والسكاكين والمشانق والأحكام المقننة وأسلاك الكهرباء الصاعقة واغتصاب النساء وبقر بطون الحوامل وخرق مؤخرات الرجال. هى اليوم اشتراكية وغدا رأسمالية وبعد غد فوضوية والناس تسير كالهوام فى الشوارع تحمل الطعام لأولادها أو تسعى لأغراض أخرى .الراكبون منهم والمترجلون يتوقفون دائما للفرجة فقط ، ومعظمهم ينتظر ان لكل شىء نهاية لكن البعض منهم غير واثق من ذلك.

العبارة المكررة الخائبة الكاذبة التى يرددها التكفيريون عقب أى عملية ارهابية فى سيناء أن الشهداء يكونون فقط من "الجنود الغلابة" وليسوا من القيادات التى تدفع بهم الى المواجهة وتستتر هى فى الخلف. التفجيرات التى راح ضحيتها الكثير من القادة كانت أكبر رد على أى خائن بأن الجيش لافرق فيه بين فرد أمن ولواء أركان حرب. الاثنان سواسية فى مواجهة الارهاب على خط دفاع واحد. يتصدران بصدورهم لأى إرهابى متأسلم. قائمة الشهداء تحوى الكثير من أسماء كبار الضباط ، منهم العمداء والعقداء والمقدمين والرواد الذين تركوا عائلاتهم ليقضوا شهرين بلا اجازات دون أن يطلبوا مكافآت أو حوافز وهو يتعرضون يوميا للقصف وخطر الموت. نشيد "منسى الأسطورة" أصبح أيقونة القتال ضد التكفيريين:"منسى بقى اسمه الأسطورة/ من أسوان للمعمورة/ وقالوا ايه".. انتشر النشيد بين الجيش والشعب بدرجة مذهلة. أعاد الى الأذهان ذكرى المعركة الشهيرة بين ارهابيى داعش فى جنوب رفح وبين الكتيبة103 التى راح ضحيتها ستة وعشرون مقاتلا من خيرة رجال الصاعقة فى أبرز وأقوى كتيبة فى الجيش المصرى ، بين شهيد ومصاب ، فى مقابل مقتل العشرات من التنظيم الظلامى.

تداول الناس النشيد بغير ان يعرفوا قصص الشهداء الذين وردت أسماؤهم فيه. منهم خالد المغربى المشهور بخالد دبابة.وعمر الشبراوى واحمد حسنين. أما العسكرى على الذى ذكر فى النشيد"العسكرى على من الشجعان" فهو الذى سحب جثامين الشهداء الى زاوية داخل الكمين الأمنى حتى لايحصل عليها الارهابيون ويمثلون بها وهم يهللون باسم الله!!..ظل يقاتلهم بسلاحه حتى نفدت ذخيرته فتمكن منه المجرمون ، لكن زملاءه أكملوا المسيرة من بعده حتى استشهدوا جميعا فى المعركة فى سبيل الحيلولة دون رفع علم التنظيم الارهابى الأسود القذر على أرض سيناء ولو للحظات فقط يلتقطون فيها صورا دعائية اعلامية، أو أن يتمكنوا من الحصول على جثمان قائد الكتيبة أحمد منسى لتجد وسائلهم الاعلامية مادة دسمة يروجون من خلالها أنهم يسيطرون على منطقة ما فى شمال سيناء.

كتاب الغرب يسخرون من قومى فيصفونهم بأنهم همج متخلفون يرتدون الملابس المتنافرة وأغطية الرأس الغبية ويركبون الجمال والحمير ويقتلون السياح ويأكلون طعاما لايهضمه الا الوحوش ، ويغلب عليهم الكسل والوخم والخوف من شىء ما. يحبون البكاء فى المساجد ويعيشون فى الفوضى والقذارة ويكبرون باسم الله بينما يحبون الكذب والمساومة والتدخين والبقشيش وشرب الشاى الثقيل ولايعرفون ماذا يريدون ويحبون المبالغة فى كل شىء

ويكثرون من ترديد كلام بلا معنى. يصيبهم التدين بازدواج فى الشخصية فيتذبذبون بين الحلال والحرام وبين الوطنية والقومية وبين الدين والدنيا وبين الفرد والجماعة وبين الخصوصية والعالمية ، ويستثمرون فى بنوك الغرب – الكافر من وجهة نظرهم - آلاف المليارات من الدولارات التى لو أنفقوا ثلاثة بالمائة منها فقط على أنفسهم لزرعوا الصحراء وقضوا على البطالة والفقر والارهاب والتعصب والأمية وفتحوا أبواب الأمل أمام الشباب فى حياة كريمة متحضرة هانئة.دموعى على وطنى قريبة. ليست دموع الحزن واليأس. انها دموع الخوف والقلق على مستقبله الذى لايبشر بخير ويجعلنى أشعر فى بعض الأحيان أن تضحياتى أنا وزملائى لأجله قد تضيع هباء. أرى الشباب خارجون من المدرسة الثانوية عقب تأديتهم أحد امتحانات النقل. أصواتهم عالية منكرة.ملابسهم تخلو من الذوق والتناسق والنظافة.رؤوسهم حليقة بطريقة منفرة والبعض يطلق شعره ولحيته بلا تهذيب. ألفاظهم بذيئة. يسبون بعضهم البعض بالأم والأب. يتجاذبون ويتضاربون بشكل همجى مقزز. أقول لنفسى هذا نتاج ثلاثين عاما من حكم دكتاتورى فاشل. هؤلاء هم مستقبل مصر. لاعلم. لا أخلاق. لاذوق. لاشىء.. ربنا يستر عليك يامصر يا أجمل بلاد الدنيا فى عينى.

بكيت كمدا يوم كانت السابقة الأولى والوحيدة فى العالم كله ، التى تختطف فيها جماعة ارهابية مجموعة من الجنود فى دولة ما ، فيطالب رئيس هذه الدولة قواتها المسلحة بأن تحافظ على سلامة الخاطفين والمخطوفين!!.. والله حدث ذلك فى فبراير2013 حين اعتلى حكم بلادى العريقة فى غفلة من الزمن معتوه يقول ان جماعته سوف تحكم مصر لخمسمائة عام قادمة ، وسوف تعيد الخلافة الاسلامية فى ربوع الأرض.

****

كثيرا ما أتساءل لماذا خلق الله الشر والأشرار. أعرف أن الاجابة تنطوى على مزيج مبهر من الكوميديا والتراجيديا وملايين علامات الاستفهام ، فأغرق فى تاريخ الحروب الصليبية وفتح الأندلس وسقوطها واختلاف الزعماء والمشايخ المصريين على ولاية مصر حتى فضلوا رجلا ألبانيا على أنفسهم وأتذكر قصة سيدنا يوسف مع زليخة الداعرة – زوجة الهكسوسى – المحتل وكيف أدخل اليهود الى مصر فخرج بهم سيدنا موسى الى سيناء ودخل بهم يوشع بن نون الى فلسطين فشتتهم نبوخذنصر الى بابل فأعادهم قورش الى فلسطين فدمرهم طيطوس ، حتى انتهى المطاف الى أن ساد بهم شارون العالم.وكنت أسكر بغير خمر وأسكن الجنة وأجول فى حدائقها حين أضع رأسى على صدر حبيبتى وأهيم فى عطره السحرى فتغنى أم كلثوم:"ان هذا الثرى من أعين ساحرة الاحورار فامش الهوينا" وكانت انشراح حوراء العينين وكان حورهما يتحول فى ذروة شبقها الى حول يطير منى عقلى فلا أتذكر أين أمضيت ليلتى بالأمس.

****

ويظل المقدم محمد هارون قائد كمين الجورة الذى عرف بأمير شهداء سيناء من أهم أبطال الجيش المصرى الذى استشهد بعد أن سطر بدمائه العديد من البطولات على أرض سيناء جعلت من اسمه مصدر رعب لكل ارهابى تكفيرى وطئت قدمه أرض الوطن. ، فهو الضابط الوحيد الذى احتفلت جماعة انصار بيت المقدس الارهابية فرحة باستشهاده بعد أن هددوه من قبل بالقتل أكثر من مرة ، وفرح معهم جماعة الاخوان المسلمين المتهمين بالعمالة للمخابرات الأمريكية، وعلى رأسهم آيات العرابى التى نشرت مقالين تهاجمه فيهما بشدة!.

كان فارسا فى قتاله ، فقد كان يغضب بشدة عندما يقوم الارهابيون بالتمثيل بجثة جندى أو ضابط ويرى فى ذلك برهانا على الوحشية والشذوذ وعشق الدماء.

بعد استشهاده علم الجميع أن أحد الارهابيين كان قد أصابه فى ساقه منذ عدة أشهر ، ولما أصيب هذا الارهابى نفسه فى تبادل لاطلاق النار، اقترب منه الشهيد فوجده ينازع الموت طالبا أن يشرب جرعة من الماء ، فأمر الشهيد له بالماء وسط دهشة جنوده وغضب بعضهم. سقى الماء بيده لمن كاد يقتله ولقنه الشهادتين. فروسية نادرة هى نموذج من نماذج أبطالنا الشهداء.

****

معذرة لكل من يقرأنى.أنا أعلم أن هذيانى هذا مزعج للغاية ، فكله يدور حول القتـال والمـوت والعمليات الانتحارية والقنابل والمدافع والطائرات والكمائن والعربات المفخخة ، وكل مايعـادى الانسانية وينفيها. لكنها حياتى التى قاتلت منذ صباى كى أتحقق من خلالها بأن أقدم روحى ملكا لوطنى، فتلك متعة المتع ونعمة النعم والسعادة التى مابعدها سعادة.

****

الناس فى مصر
(ملحق تقريرى رقم1)
****

الناس هنا فى مصر - المحروسة بإذن الله - قد اعتادوا وقوع الحوادث العربية وألفوها. يتجمعون بلا خوف حول ضابط يبطل مفعول قنبلة حتى لاتنفجر دون أن يخشوا انفجارها فى أجسادهم. يهجمون على ارهابى وسط الطريق وينهالون عليه ضربا ويخطفون منه سلاحه. بعد ذلك تبدأ ثرثرتهم المعتادة عن الارهاب والجماعات الاسلامية والاخوان المسلمين وداعش وغيرهم. بعد مرور عدة أيام على الحادث – مهما كانت بشاعته - ينسون كل شىء ، ولايتذكرون أن هناك حربا ضروسا تدور رحاها بين جبال سيناء وبين طرفين يعتقد كل منهما أنه على حق ، بل أن احدهما يعتقد أنه صاحب الحقيقة المطلقة الأوحد.

● يتحدث واحد من الناس فى مصر عن نشأة الجماعات الاسلامية فيقول:

"الجماعة الاسلامية فى مصر هى فى الأصل حركة اسلامية سنية مصرية نشأت فى أوائل السبعينيات. تعتبرها أمريكا وأوروبا منظمة ارهابية. كانت الجماعة عند نشأتها تهدف الى الإطاحة بالحكومة المصرية على أن تستبدل بها الدولة الاسلامية حسبما تتصورها ، كما تهدف الى إعادة الاسلام الى المسلمين ثم الانطلاق نحو اعادة الخلافة الاسلامية من جديد ، وقد عرفت هذه الجماعة باسم"جماعة الجهاد".

تكونت هذه الجماعات فى الجامعات المصرية على شكل جمعيات دينية لتقوم بأنشطة ثقافية واجتماعية فى محيط الطلاب ، نمت بعد ذلك وتطورت واتسعت قاعدتها فاجتمع مؤسسوها واتخذوا لها اسم"الجماعة الاسلامية". وضعوا لها بناء تنظيميا ينطلق من داخل كل كلية من حيث وجود مجلس للشورى على رأسه أمير ، وينتهى بمجلس شورى الجامعات وعلى رأسه"الأمير العام" أو " أمير أمراء" الجماعة الاسلامية.

بدأت الجماعة فى اتخاذ مواقف سياسية برزت فى موقفها من معاهدة كامب ديفيد ، وإيواء شاه ايران بمصر ، وغيرها من المواقف المعارضة للنظام. بعد ذلك بدأت فى توزيع المنشورات وإقامة المؤتمرات وتنظيم المسيرات ، فبدأ الصدام بينها وبين الأنظمة السياسية المتعاقبة حتى اليوم ، اذ أصبحت فى نظرها كائنا هلاميا خبيثا مائعا ، فلا هى جماعة دعوية دينية صرفة ، ولا هى حزب سياسى صريح معلن.

ثم قامت الجماعة بعمل مايشبه الهيكل التنظيمى بتقسيم لجانها الى عدة مجموعات دعوية هى مجموعة الدعوة الفردية وتختص بدعوة الأصدقاء والأقارب والمعارف، ومجموعة الفئات وتختص بدعوة أصحاب المؤهلات العليا كالأطباء والمهندسين، ومجموعة اعداد شئون الدعوة وتختص بإعداد المؤتمرات واللقاءات وتوزيع الخطباء على مساجد الجماعة، وتحديد عناوين ومضامين المواعظ الملقاة ،، ومجموعة الاشراف على المساجد وتختص بالاشراف على اقامة الشعائر بالمساجد التابعة للجماعة وتنظيم الحلقات الدعوية بالمساجد، ومجموعة أخرى تختص بتربية أفراد الجماعة ايمانيا وحثهم على أداء النوافل وقيام الليل ، ومجموعة تختص بجمع التبرعات وتوزيع المساعدات العينية على الفقراء مثل الدقيق والسكر والأرز والزيت والسمن والفول ، والعمل على حل مشاكل الأسر المحتاجة وتنظيم معارض للسلع وترميم وبناء المساجد وإقامة الأفراح الاسلامية بأسعار رمزية.

بعد ذلك بدأت الجماعة فى الاعلان عن غايتها وعقيدتها بإصدارات مكتوبة تم نشرها على أوسع نطاق. ويمكن اجمال هذا المكون الفكرى والشرعى لهم فى أن غايتهم الأولى هى رضا الله تعالى بتجريد الاخلاص له سبحانه وتحقيق المتابعة لنبيه عليه الصلاة والسلام. كما أعلنوا صراحة أن "عقيدة السلف الصالح هى عقيدتنا جملة وتفصيلا". أما الغاية الثانية فهى تفهم الاسلام بشموله كما فهمه علماء الأمة الثقات المتبعون لسنة النبى والخلفاء الراشدين. والغاية الثالثة هى تعبيد الناس لربهم وإقامة خلافة على منهاج النبوة هدفها الأمر بالمعروف والنهى

عن المنكر والجهاد فى سبيل الله من خلال جماعة منضبطة تقوم حركتها على الشرع الحنيف ، وتأبى المداهنة أو الركون ، وتستوعب ما سبقها من تجارب تقوى وعلم يقين وتوكل وشكر وصبر وزهد فى الدنيا وإيثار للآخرة معلنين أنها غاية واحدة بعقيدة واحدة تحت راية فكرية واحدة ، اجتماعها الله ورسوله والمؤمنين وعداؤها للظالمين.

وقد عبرت الجماعة عن نظرتها لواقع العالم الاسلامى وتصورها لمنطلقات حل أزماته قائلة:

ان هذه الأمة قد سادت بالاسلام ردحا طويلا من الزمان امتدت خلاله خلافتنا تقود البلاد بكتاب الله..وها هى اليوم تتجرع كأس المذلة والهوان وقد أضحى مجدها وعزها أنشودة قديمة يتغنى بها ويتسامر الأبناء. هاهى تسقط وتتمزق خلافتها الى دويلات منها ما اقتطعه النصارى ومنها ما اقتنصه اليهود ومنها ما استولى عليه الملاحدة وعبدة الأوثان. أما ما بقى منها حاملا اسم الاسلام فقد علاه حكام علمانيون. اننا كمسلمين أعمق فهما وأنفذ بصيرة من أن تستهوينا محاولات الاصلاح الجوفاء التى تملأ العالم اليوم.. المشكلة ليست نقص الموارد ، وليست الظلم المنتشر فوق الربوع ، وليست الحروب الفتاكة ، وليست اختلال توزيع الثروة ولا غياب الديموقراطية. مشكلة الناس الأساسية أنهم يرفضون أن يكونوا عبيدا لله أو أنهم يجهلون هذه القضية.

ان نقطة البدء الصحيحة هى العمل الدائب الجاد الواعى لإعادة الناس الى ربهم وتعبيدهم لخالقهم ، وما عدا ذلك فسعى ضال وجهد مفقود."

****

- وحول هذه الجماعة يقول واحد آخر من الناس فى مصر:

" لايستيقظ الارهابى من النوم فجأة ليقرر أنه سينضم الى مجموعة أو خلية ارهابية ، بل هناك مجموعة من العوامل النفسية الداخلية والمؤثرات الخارجية التى أثرت فى مسار حياته وجعلت منه قنبلة موقوتة وشخصية عدوانية مجرمة بعيدة عن مجتمعها خارجة عليه.

وقد أخذت ظاهرة الارهاب منحى أخطر بكثير مما كانت عليه فى البداية ، فإذا أسقطنا هذه الظاهرة على مايجرى الآن فى سورية والعراق واليمن ، سنرى أن الكثير من الارهابيين فتحت لهم الحدود وأصبحوا كوحش أفلت من عقاله. كما فتحت السجون لتهريب مئات الارهابيين الذين كانوا قد سجنوا لارتكابهم جرائم وأعمال ارهابية راح ضحيتها مئات من المدنيين الأبرياء. فالكثير منهم أتى الى ما يسميه أرض الجهاد ، ليعيثوا فسادا وظلما وتدميرا فى كل مكان حلوا به. هؤلاء أشخاص اعتادوا القتل وقد انحدروا من بيئات أغلبها كانت مرتعا للارهاب. أصبح الإجرام وظيفتهم التى صنعوا وأعدوا لها، وهذا ما أكدته الكثير من التقارير الدولية التى تحدثت عن الخلفيات الاجرامية التى أتى منها هؤلاء الارهابيون."

****

ويقول آخر:

" الحقيقة ان إعداد وصناعة الارهابى الذى يستبيح كل القوانين لتحقيق غاياته وأهدافه ، هى من أهم اولويات المجموعات الارهابية. كل ذلك فى سبيل نشر الموت والقتل والدمار ، فالإرهابى ينتمى بشكل كامل وقوى الى جماعته التى يدين لها بالولاء ويشعر معها بالأمان وبأنه فرد ذو أهمية وهوية مميزة ، وصاحب مكانة محترمة بين أعضاء المجموعة. ان العوامل التى تجعل المرء مهيأ للانخراط فى الارهاب هى مجموعة من التجارب الشخصية التى مر بها ولم تكن مرضية له بأى حال، وهو يتوقع وينتظر مغريات كثيرة سوف يجنيها من انضمامه للتنظيم كالإثارة الجنسية والوعد بالحور العين بعد الموت.

عندما يوظف الارهابى لتنفيذ مهمة معينة، لا يسمح له بالعودة الى بلده الأصلى ، لذلك يستميت فى تنفيذ مهمته فهو ميت لامحالة قد وضع الموت نصب عينيه وأصبح مستعدا للقيام بأى عمل وحشى وغير انسانى لتحقيق هدفه وغايته.

****

وديع الهجـــين

****

يظل مرشدى لغزا معقدا أمامى. لا أعرف حقيقة هذا الرجل ان كان يفك الأعمال ويصرف الشياطين ويشوف البخت كما يدعى أى دجال ، أم أنه تاجر مخدرات يتخفى فى عالم الدجالين، أم أنه عضو سرى فى احدى الجماعات المسماة بالاسلامية تحت الأرض. مرشدى الذى رأيته أول مرة وأنا سكران بصحبة صديقى الفاسد ابن الفاسد لنشترى منه الحشيش، هو نفسه مرشدى الذى هدانى للطريق الى الأمير وسلمنى له وانصرف فلم أره مرة ثانية بعد ذلك!. دفعنى الفضول الى البحث عنه فوجدت مقره مغلقا. سألت عنه فقيل لى انه قبض عليه بتهمة الدجل والشعوذة. لم يستطع أحد أن يدلنى على مكان تواجده. واصلت فضولى فسألت عنه وحيد شرعان فضحك وقال:

- لاتصدق ماقيل لك عنه فلا أحد يعرف حقيقته
- اذن فأين هو؟
- أنا مثلك لا اعرف ، لكنه يرسل الى التموين مع مندوب
- وما علاقته بالأمير؟
- أى أمير؟!

لم أجبه عن سؤاله ،فلم أكن أريد أن يعرف أحد حقيقة تحولى من عالم الضلال الى عالم الهدى والتقوى والجهاد مهما ظل أمر مرشدى مجهولا لدى. فكرت فى أن أسأل الأمير عنه ولكنى تراجعت لإحساسى بأن هناك سرا غامضا يجمع بينهما ولا يريدان لأحد أن يطلع عليه.

حتى صقر وراوية لم يعرفا شيئا عن انتمائى مؤخرا للجماعة وتسليم أمرى كله الى الأمير. ما لفت نظرهما فقط هو تغيير ملبسى وإطلاق لحيتى، لكنى لست أظن أن أحدهما قد أساء بى الظن بشكل أو بآخر. وحيد فقط هو الذى سخر منى حين تساءل:

- أعرفك بدجال مصطنع وتاجر مخدرات محترف ، فيحولك الى درويش؟!

على أى الأحوال فقد انتهى دور مرشدى بالنسبة لى ، فلا أنا أنوى اللجوء اليه لشراء الحشيش ولا لقراءة الكف. يكفينى الأمير ، والأمير فقط.

لم أعد وديع الهجين عاشق الموسيقا والأغانى والشعر والورود. وديع المحب المطعون كان يرى فى الحب ما رآه ابن حزم كداء فيه الدواء منه على قدر المعاملة ، ومقام مستلذ وعلة مشتهاه، لايود سليمها البرء ولا يتمنى عليلها الافاقة. يزين للمرء ما كان يأنف منه، ويسهل عليه ما كان يصعب عنده.

كنت عاجزا عن القاء تحية الصباح على نبيلة فأصبح لسانك طلقا بعبارات الحب والغزل والهيام، وكنت على استعداد بأن تجود ببذل كل ما تقدر عليه لأجل ارضائها وإسعادها. كان مجرد ذكر اسمها أمامك يضاعف من وجيب قلبك ، وعندما تراها أو تشم رائحتها فكانك وقفت على أعتاب الجنة.

طمأنينتك للزمن كانت راسخة، فلم يكن يخطر ببالك يوما أن يكون بينكما فراق مهما كانت الأسباب. تمضى ليال كاملة تستمع وتعيد الاستماع الى قصيدة أم كلثوم"أغار من نسمة الجنوب على محياك ياحبيبى" ، بينما تتهادى نبيلة فى خيالك المسحور ، مليكة للعشق والهيام. تبهجك ابتسامتها العذبة ويشجيك صوتها الحنون. وحدك تسهر حتى الفجر لكنها تكون معك فى حضرة التعلق بالأمل وأجمل الذكريات والثقة فى العهد الذى كان ، ألا يفرق بينكما الزمن أو تباعد بينكما الأيام.

ياليتنى طائر شجى/ يشدو بأنغام عندليب
أظل أسقيك من غنائى/ سلافة الروح والقلوب

لم يخطر ببالى فى ليلة من تلك الليالى أن تنتهك ذات القميص الأسود بكارة مشاعرى ورقة أحاسيسى. بكيت ليلتها طويلا إذ خنت نبيلة بالجسد والروح وضاجعت امرأة غريبة. خطر ببالى

أن أذهب اليها معتذرا باكيا نادما، بل وأقبل قدميها حتى تصفح عنى وتغفر لى خيانتى الحقيرة.دعوت الله ألا أذوق مرارة الخيانة مرة أخرى، فقد كان ألمى شديدا وأنا الخائن ، وكان شعورى بالذنب والندم يقض مضجعى ويزعجنى فى منامى وأنا المذنب. لكن كيف تذهب اليها معتذرا باكيا نادما لتقبل قدميها وهى الخائنة الحقيقية ولست أنت؟!..باعتك نبيلة بفيلا وعيادة وعربة. باعك صديق طفولتك باختطافها منك وإن حدث ذلك برضاها التام. أصبحت المعادلة الكيميائية العاطفية كالآتى:

نبيلة السيد + وليد الحلوانى= خيانة مركبة + غدر خسيس

لم تعد تغار من نسمة الجنوب يابطل. أصبحت تسهر حتى الفجر فى تابوت غربتك.تستمع الى أغانى الصد والهجر والفراق فى مكتبة توفيق الموسيقية. تنساب دموعك تنعى زمانا بنيته من هذيان أحلامك.

يامن يحن اليه فؤادى/ هل تذكرين عهود الوداد
هل تذكرين ليالى هوانا / يوم التقينا وطاب لقانا
كانت لنا فى الغرام عهود/ صارت حديث الربى والشوادى

نومك أرق وهواجس وأحلام كابوسية، ثم ضياع بالنهار بحثا عن عمل واجترار لصفعتين مهينتين على قفاك من الحبيبة والصديق، ثم عودة بالليل الى أغانى قسوة الحبيب ولوعة الفراق. الجديد أنك تعلمت البكاء فى تلك الأيام التعسة التى صاحبتها صفعة ثالثة من هذه الأرض المدنسة بمن عليها من حكام ومحكومين – كما يقول الأمير – والتى يسمونها الوطن.

سخر الأمير من صدمتى وقال ان من حق الفتاة أن تبحث عن سعادتها على أرض الواقع ، فما كان بينكما الا بضع كلمات جوفاء عن الحب والعهد الفارغ بالوفاء. أنت لم تضح لأجلها بشىء.لم تقدم لها ما يجعلها تتمسك بك ، ولم تكن لتقدم لها أى شىء وحالتك دونية عاجزة. أحلامك زائفة كضجيج الطبل. ما الذى كان يدفعها الى أن تؤمن بك؟..لا شىء! الكلمات الجوفاء شىء والإيمان شىء آخر. الحب الحقيقى فعل لا قول.

قال لك الأمير ان الخلق مرآة الحق ، والحق مرآة الخلق، وحبك الذى انهكك ضياعه لم يكن حبا حقيقيا، فالحب الحقيقى هو حنين الجزء الى الكل واشتياق الفرع الى الأصل والتجرع من الكأس المقدسة، والانتقال من غربة الوجود الى قلبه وبؤرته، ومن اللذة الظاهرة الزائلة الى اللذة الباطنة المخلدة، وأنت يا مسكين لاتدرى شيئا عن هذا كله. ثم قال لى:

-عندما تأتى الى لاتأت بدونك

حملت نفسى على كاهلى حتى ناء بها. ما أن اقتربت منهوك القوى حتى ألقيت بكل أحمالى أمامه وقلبى غارق فى مقام الخوف وعيناى يقطر منهما الرجاء،وقد تذكرت فى التو واللحظة أن ممثلة أوروبيةشهيرة قد دفعت لإحدى الشركات مبلغا خياليا من المال للتأمين على مؤخرتها، وما هى الامخلوق من حرفين كانت بالأمس أثرا بلا عين، فهنيئا للديدان بكنزها الثمين.

انى فى حيرة معذبة مع الدين الذى تعلمته فى طفولتى وصباى من المدرسة والمسجد والبيت. علمونى أن أطيع الأستاذ والشيخ والوالد من قبل أن أفكر. ظل أثرهم باقيا فى نفسى حتى اليوم. الله الحقيقى لم أعرفه بعد على حقيقته المعرفة الصحيحة. حين التقيت بالأمير انتظرت أن أجد الخلاص على يديه ، وأن أعرف لروحى دربا تسير عليه وتحتمى به من الضياع الذى لمسته عند وحيد شرعان ، والذى حل بى بعد ما وقع على من غدر وخيانة.

****

لست أدرى لماذا يجد القدر متعة فى السخرية منى ، أم أنها مصادفاته العادية التى تقع للبشر أجمعين. المرة الأولى بعث بى تاجر مخدرات الى أمير جماعة اسلامية مجاهدة ، والمرة الثانية- وإن كانت قد سبقت الأولى – حين لجأت الى معذبى أشكو اليه حالى وأنا لا أعرف أنه الخائن والسارق، والمرة الثالثة أن ينخدع لى الخسيس متظاهرا بألا علاقة له بالجريمة، فيبادلنى الحديث فى تعاطف كاذب ومودة زائفة انطليا على. يتحدث عن السارق وكأنه يتحدث

عن شخص آخر غير نفسه. السؤال الذى يحيرنى لماذا لجأت اليه دونا عن العالمين لأجعل منه القاضى والجلاد بكل غباء، مثلما سبق أن حيرنى السؤال عن سبب لجوئى الى عابث أشكو اليه قصة حبى الفاشلة.

خلال دراستى الجامعية انشغلت لفترة بقضية الدين والتدين بعد أن قرأت قليلا فى مسألة التصوف. عرفت أن المريد اذا جاء وقت ارادته وانفرد برأيه ولم يصحب شيخا فإنه يضل ، ويكون له الشيطان قائدا وشيخا ، فالشيخ انسان كامل فى علوم الشريعة والطريقة والحقيقة ، عالم بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها ، قادر على شفائها والقيام بهداها. وللشيخ على المريد الطاعة الظاهرة والباطنة والجلوس أمامه على بساط الأدب والتهيؤ الدائم لخدمته ، مع اطلاعه على أحواله مهما بلغ بها التقصير ، فلا يكتم عن شيخه شيئا.

أما عن آداب التعامل مع الإخوان فيجب الصفح عن عثراتهم وترك مخالفتهم ومنافرتهم والتواضع لهم والبعد عن المجادلة معهم والتعامى عن عيوبهم والشفقة عليهم وعدم التقصير فى القيام بحق الأخوة نحوهم دون أن يرى المريد لنفسه حقا على واحد منهم.

لم أكمل التجربة لانشغالى بالدراسة لكن أثرها ظل معلقا بقلبى حتى التقيت بالأمير وكنت – فى حرقتى المشبوبة – على تعطش شديد - بعد أن ذقت مرارة الخيانة ومادت الأرض من تحت قدمى – لأن أسلم أمر قلبى الى شيخ كما يسلم الميت جسده للمغسل. ضاعف من هذه الرغبة فى نفسى رؤيتى لأبى وهو يسلم أمره فى أمى الى الله فى رضا ودون تردد.

****

بكيت كالنساء أمام وليد تشكوه قسوة هجر الحبيبة وقطع صلتها بك ورفضها حتى مجرد مهاتفتها تلفونيا. قال لك وليد بنبرة تعاطف خلتها لسذاجتك صادقة:

- لماذا لا تواجهها لتفهم منها مباشرة ما الذى دفعها الى ذلك؟
- رفضت مقابلتى
- انى أتعجب من هذا التحول المفاجىء مرة واحدة
- أما أنا فمذهول
- لابد أن هناك سببا خطيرا لانقلابها المفاجىء عليك

نعم أيها الجبان.لابد أن السبب هو الثروة الضخمة التى ورثتها عن أبيك ، والفيلا الكبيرة التى تقع فى أرقى منطقة بأطراف المدينة بعيدا عن الغوغاء وعن عامة الشعب الزرائبى المطحون الذى لم أعد أفخر بانتمائى له منذ الآن.

الخيانة نقض للعهد وطعنة فى الظهر وإنكار للحق والعدل. قالت لك أمها فى صفاقة:

- ابعد عن ابنتى واتركها تبحث عن مستقبلها

وقال لى والدها ببرود غير عادى:

- لو كنت مكانها لاخترت وليد من دونك بلا تردد

أما هى فلم تقل لى شيئا. اختفت كما اختفى مرشدى تماما. لم تستطع مواجهتى فاختصرت على نفسها الطريق الى منفعتها ولأذهب أنا الى الجحيم. هذه هى الخيانة بعينها.

أتعجب من هؤلاء الكفرة الذين يصفوننى وإخوانى المسلمين بالخيانة حين نقتل ضباطهم وجنودهم خدام الطاغوت. يقولون عنا إن مشايخنا قد غسلوا أدمغتنا نحن شباب الجماعات الاسلامية وأقنعونا بالانتحار بالأحزمة الناسفة. يسمونه انتحارا لا استشهادا لاكتساب رضا الله وجنته. سألت أبى الطيب:

- هل سبق أن واجهت فى حياتك غدرا من حبيبة أو صديق؟
- يووووه..واجهته كثيرا
- وماذا كنت تفعل؟
- أنسحب لاجئا الى الله

هذا هو توفيق الهجين الذى يلجأ الى أخيه محسن الهجين ميسور الحال ، ليقترض منه ما يعينه على تجهيز شقيقتى سامية..ثم يقول لى بكل بساطة:

- يابنى أنا يا مولاى كما خلقتنى
عظيم..اذن فلتكن عمليتنا التالية هى مسجد الروضة!..
أوضح لى الأمير أن جماعته يحيى شقها الأول فكر الخوارج وأدبياتهم بتكفير كل من ارتكب كبيرة- رغم أن هذا لا يهمنى كثيرا - وتكفير الحكام بلا استثناء لأنهم لايحكمون بشرع الله، وكذلك تكفير المحكومين لأنهم ارتضوا بهذا الحكم ، وتكفير العلماء لعدم تكفيرهم هؤلاء الحكام. أما الشق الثانى من فكر الجماعة فهو الهجرة باعتزال هذا المجتمع الجاهلى عزلة مكانية وشعورية ، فضلا عن اعتزال مساجدهم ودور علمهم ، والمعيشة فى بيئة الجماعة التى تتحقق فيها الحياة الاسلامية الصحيحة.
بالفعل أعطونى شقة وأموالا كثيرة ، كما وعدونى بالزواج بأكثر من امرأة، وكله بشرع الله مادمت مطيعا لشيخى وأميرى الذى يستحيل أن أذكر اسمه أو أذكر أى شىء عنه لمخلوق على وجه الأرض. ستكون هجمة الروضة التى اتقنت الجماعة التخطيط لها حديث العالم كله ، وستكون أكبر دليل على فشل النظام العسكرى الكافر فى حماية رعاياه الكفار.
الكلب يجلس أمامى فى ثبات وهدوء، مبديا التأثر لدموعى المنهالة. قلت له قبل أن أعلم الحقيقة:
- عرفت من أهلها أن طبيبا ثريا تقدم لخطبتها وأنها وافقت عليه
- إذن فقد عرفت السبب
ثم يسألنى بكل بجاحة:
- ألم تعرف من هو العريس؟
تكلم ياعديم الرجولة وقل الحق. تسألنى عن العريس وأنت تعرف أننى لا أعرفه.
- نعم لم أعرفه
- وما الفائدة لو عرفته مادامت صاحبة الشأن قد اختارته
- أخشى أن يكون أهلها قد أجبروها على قبوله
- هذا الكلام كان زمان ياحبيبى.اليوم لاتستطيع أسرة أن تجبر ابنتها على قبول زوج بغير رضاها
- لكننا تعاهدنا على أن نكون لبعضنا مهما حدث
- وما هى أدوات هذا العهد؟ هل لديك شقة؟ هل لديك عمل يدر عليك دخلا مناسبا كى تتزوج وتعيش مع زوجتك حياة كريمة؟
- لاشقة ولا عمل
- اذن فدعها وشأنها ان كنت تكن لها حبا حقيقيا
عندما عرفت الحقيقة قطعت صلتى به الى الأبد، وما كان هناك بديل لذلك. أما توفيق الهجين فقد قال لى:
- المراة التى تبيعك لأول مشتر بسعر أعلى لاتختلف كثيرا عن العاهرات
ياااه!!..كيف لهذا الرجل المهذب الحيى أن ينطق هذا اللفظ البذىء ليصف به نبيلة؟!.. هل انت حقا هكذا يانبيلة؟ وهل أنت ياوديع من تباع هكذا فى لحظة ويلقى بك الى الضياع فتسرق منك وظيفتك ويسرق منك حقك فى الحصول على عمل ، ثم تسرق منك فتاتك ويسرقها صديق عمرك؟.. كم أنت حسن النية ياتوفيق. أخوك محسن يقرضك المال منتظرا استرداده ، رغم أنه كان يمكنه أن يهبه لك فالمال وفير لديه.عدة آلاف كان من الممكن أن يسقطها من رصيده فى أحد البنوك هدية لأخيه وابنة أخيه دون أن تتأثر ثروته بمثقال ذرة.
أصبح العم محسن مقررا علينا منذ احتجنا اليه. يقول سيدنا على:"أحسن الى من شئت تكن أميره، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره". أصبح أبى أسيرا لأخيه وأصبحنا كلنا أسرى لزياراته المتكررة ومسامراته الليلية السمجة مع أمى ، فى وجود أبى أو فى غيابه!.

****

نجحت العملية نجاحا مدويا ، وقال خطيب مسجد الروضة المنافق للصحافة:
"حصل الانفجار خارج المسجد بعد صعودى الى المنبر . بعدها بدقائق قليلة بدأ الضرب بوابل من الطلقات النارية على المصلين داخل المسجد بمجرد أن انتهيت من مقدمة خطبة الجمعة. مع توالى اطلاق النار حدث تزاحم وهرج وتدافع بين المصلين بغية النجاة من هذا الجحيم ودهسوا بعضهم البعض.بعضهم قفز من نوافذ المسجد، بينما حاول عدد كبير الاحتماء بالمنبر دون جدوى ، فقد كانت كثافة النار غير معقولة وموجهة الى كل مكان بالمسجد.لم يراع المجرمون حرمة بيت الله وواصلوا قتل المصلين بلا رحمة. حسبنا الله ونعم الوكيل."
كتبت راوية فى تقريرها الصحفى أن"هجوما ارهابيا قد نفذته عناصر مسلحة على مسجد الروضة فى منطقة بئر العبد بمدينة العريش أثناء اقامة شعائر صلاة الجمعة، ما أسفر عن استشهاد نحو مائتين وخمسة وثلاثين شخصا وإصابة مائة وتسعة آخرين، وقد أجمع عدد من المصابين الذين نجوا من الموت على أن مهاجمى المسجد كانوا من الشباب صغار السن، وانهم كانوا يرتدون زيا عسكريا."

****

هذا ماتستحقونه أيها الجبناء. أنتم رجال بالشكل دون مضمون. تقبلون الظلم وترضون بالذل وتستمرئون القهر والتسلط. لا أعرف ما هى الأسباب التى تبرر قبولكم بهذه الدرجة الدنيا من الحضيض الانسانى ، واعتيادكم ذلك دون اهتزازة تململ بسيطة.

****

راوية هيكل

****

عندما شرعت فى نشر سيرة حياة صقر الاسكندرانى على حلقات بالجريدة التى أكلت حياتى ، حاولت أن تتضمن السيرة مجمل فكره من جهة ، والفكر المناهض للجماعة التى اغتالته من جهة أخرى . بدأت الكتابة عن مفهوم الوطنية ، والتى كانت قضيته المصيرية الأولى والأخيرة فى حياته. كان نص المقال كالآتى:

" من أبشع آثار حكم الاخوان على شباب مصر خلال الحقبة القصيرة الماضية التى تولوا فيها حكم البلاد ، هو شيوع فكرة خطيرة بين بعض الشباب ، روج لها قادة الاخوان الفاشلون بقوة وحماس ، وهى الاقلال من شأن قيمة الوطن ومن روعة الشعور بالوطنية والمواطنة والانتماء له، وذلك تحت تبريرات دينية كاذبة أفرختها هيئات وجماعات وتنظيمات دولية مغرضة تقوم على الفاشية الدينية وتسعى لبسط نفوذها على العالم . الانتماء والولاء عندهم لا يحق الا للجماعة لا للوطن ، فحب الوطن لايعنى عندهم شيئا بالقياس الى مخططاتهم العنصرية البغيضة ، والتى يستحيل بكل المقاييس تحقيقها فعليا على أرض الواقع ، لا فى مصر فقط ، وانما فى أى وطن آخر، مهما صرفوا من أموال وقتلوا من أرواح وسعوا لتقسيم الأوطان وتجزئتها. ان الشعب المصرى لايمكن أن ينسى المقولة الحقيرة لكبيرهم ومرشدهم:"طظ فى مصر"!!!!..

انهم ينكرون تلك القيمة المقدسة التى تربينا عليها منذ طفولتنا ونحن نحيى العلم فى طابور المدرسة الصباحى ونهتف "تحيا مصر" ، بينما يغمرنا شعور طاغ بحب أرضنا وناسنا وجيشنا ودولتنا. انه شعور يأتى فى المرتبة التالية مباشرة لحب الله وطاعته، وليس غريبا أن تختتم أوامر القتال ضد العدو بالعبارة الشهيرة:"الله. الوطن. بالأمر". ان الوطن ذاكرة الانسان ، فيه الأحباب والأصحاب والآباء والأجداد، فمن فقد وطنه فقد ذاكرته.. ولاتعرف قيمة الأوطان الا عند فراقها وشدة الحنين اليها..

عندما نجحوا فى خداع الشعب وسيطروا على المجلس النيابى رفضوا القيام وقوفا تحية للسلام الوطنى فى سابقة لم تحدث فى تاريخ مصر. غسلوا أدمغة بعض الشباب الذين يفتقرون الى الوعى والثقافة ونشروا بينهم تلك المفاهيم الكريهة ، حتى أن بعض الشباب العائد من الخارج والذى شاهد هناك مظاهر التقدم والرفاهية ، أصبح تحت تأثير هذا الفكر البغيض ساخطا على وطنه الذى يعانى من التخلف والانهيار ، ساخرا من تعثره وارتباكه، ناظرا باحتقار الى الشعب الذى علمهم ورباهم وأطعمهم وأسقاهم. لقد أصابتنى غصة ومرارة حين سمعت شابا يطلق على وطنه ساخرا لقب"الزريبة" ويسمى شعبه بالانجليزية:"zerebians"!!!..وبدلا من أن يبذلوا أى جهد للمساهمة فى اصلاح المعوج من حال البلد ، فإنهم يكتفون بالشكوى والنقد والسخرية، لكنهم لايفعلون شيئا ايجابيا يدفع وطنهم خطوة واحدة الى الأمام، وانما يصبح الهم الوحيد المسيطر عليهم هو الهجرة الى الخارج سعيا وراء تحقيق أهدافهم الذاتية، منسلخين تماما عن ارتباطهم العضوى والجذرى والدموى بأرضهم وأهلهم وشعبهم.

انه لاينبغى علينا أن نترك هؤلاء الشباب المغيبين حتى يروحوا ضحية جماعة من الفاشيين الذين يعادون الحياة الانسانية الراقية التى قام عليها المجتمع المصرى من آلاف السنين، والتى تتسم بالمحبة والتسامح وتعشق الفن والابداع. يجب أن نوضح لهم بالأدلة الواقعية أن هذه جماعة معادية للحضارة الانسانية بوجه عام ، وأن أصحابها يعادون كل ما يسمو بالروح والوجدان وكل ما تتصف به الحضارة المصرية العظيمة من قيم نبيلة منذ فجر التاريخ، ولايعرفون غير الكذب والغش والخداع والتضليل والتمسح الكاذب بالدين، وتكفير المخالفين لهم فى الرأى وإهدار دمهم بمنتهى البساطة بحكم اعتقادهم الخائب أنهم أصحاب الحقيقة المطلقة وأنهم الممثلون لله على الأرض.

ان أمامنا جهدا كبيرا للتخلص من هذه الظاهرة الغريبة الوافدة على مجتمعنا السوى، وعلينا بالعودة الى أناشيد حب الوطن ، جنبا الى جنب مع الاخلاص الشديد فى العمل واتقانه، فتلك هى المواطنة الحقيقية ومن لاوطن له لادين له، ومن لايحب وطنه لن يستطيع أن يحب شيئا على الاطلاق.

ما أروع الشاعر العبقرى أمين الهجين الذى تغنى بكلماته عبد الوهاب حين يقول عن وطنه فى أنشودة حب الوطن فرض علىّ:

"قضيت أعز شبابى فيه ، وفيه حبايبى وعزالى".. أى أنه يحب حتى خصومه وأعدائه، ماداموا جزءا لايتجزأ من وطنه.. وما أتعس حفيد عمه المسكين الذى يصر على أن يجعل من نفسه وصيا علىّ فيلح فى طلبه أن أتحجب!!..

لقد قال هوميروس:"ليس هناك شىء فى الدنيا أعذب من أرض الوطن".. وقال جالينوس:" يستروح العليل بنسيم أرضه كما تستروح الأرض المجدبة بوابل المطر".. وقال الجاحظ:" كانت العرب اذا سافرت أو غزت ، حملت معها من تربة بلدها رملا وعفرا تستنشقه فى البعد عنه".. وقال الغزالى:"ان البشر يألفون أرضهم على مابها ولو كانت قفرا موحشا، وحب الوطن غريزة متأصلة فى النفوس، تجعل الانسان يستريح الى البقاء فيه ويحن اليه اذا غاب عنه ويدافع عنه ويفديه بحياته اذا هوجم:

بلادى وان جارت على عزيزة/ وأهلى وان ضنوا على كرام

وليس ببعيد عنا موقف الطاغية مبارك أثناء ثورة الشعب على حكمه الفاسد ، عندما عرض عليه أعوانه تهريبه بسلام الى خارج البلاد ، كما عرض عليه العديد من الحكام العرب استضافته ببلادهم، الا أن حبه لوطنه جعله يختار ويفضل أن يحاكم ويتعرض للسجن أو الموت داخل هذا الوطن على أن يغادره فى أمان تام الى أى وطن آخر معلنا أنه مهما حدث فلن يدفن الا فى تراب مصر.

ان حب الوطن أعظم عند الانسان السوى من حب الخلود والبقاء:

وطنى لو شغلت بالخلد عنه/ نازعتنى اليه فى الخلد نفسى

حتى فرعون عندما أراد أن يثير قومه ضد سيدنا موسى عليه السلام ، فإنه أثار فيهم غريزة حب الوطن لعظم قدرها وجلال شأنها قائلا لهم عن موسى:"يريد أن يخرجكم من أرضكم".

ويعلمنا سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن حب الوطن من الايمان، وألا خير فيمن لا يحب وطنه على حاله، وذلك حين قال عن مكة وهو يغادرها مهاجرا مضطرا:" ما أطيبك من بلد، وما أحبك اليّ، ولولا أن قومى أخرجونى منك ماسكنت غيرك".

واذا كانت حكمة الله تعالى قد قضت أن يستخلف الانسان فى الأرض ليعمرها ويستمتع بما فيها من الطيبات والزينة، لاسيما أنه سخرها له بكل معطياتها وخيراتها، فإن حب الانسان لوطنه وحرصه على المحافظة عليه واغتنام خيراته، انما هو تحقيق لمعنى الاستخلاف فى الأرض اذ قال سبحانه وتعالى:" هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها"..

ان المخلوقات جميعا تملك غريزة حب الوطن ، حتى النملة حين قالت فى كتاب الله الكريم"يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم" فإن قولها قد دل على حرصها على وطنها وعلى أبناء جنسها من أقدام جنود سيدنا سليمان وعلى مخزونهم الاستراتيجى من الطعام الذى جاهدوا فى تدبيره وتخزينه طوال العام.

ان حب الوطن من المنظور الدينى أمر شرعى وأخلاقى، لكنه يجب أن يترجم الى أفعال وأقوال ولا يكتفى بأن يظل حبيسا فى الصدور ومكنونات النفس، وهذا الحب لايترجم حسب الهوى والمصالح الشخصية والذاتية، فليس من حب الوطن معاداة اهله أو نهب أمواله وخيراته أو العمل على اثارة الفرقة بين أبنائه ونشر ثقافة الكراهية والحقد والبغضاء والمذهبية والعنصرية بينهم، كما انه ليس من حب الوطن الاستقواء بالخارج أو التهديد باستخدامه كما أراد الاخوان ولم يفلحوا حتى فى ذلك، مثلما لم يفلحوا فى عمل شىء ذى قيمة على الاطلاق خلال عام حكمهم البغيض.

ياشباب مصر يامن قمتم بثورتين فى ثلاثة أعوام، انصحوا أصدقاءكم الشكائين الساخطين على وطنهم أن يقللوا من الجدل ويكثروا من العمل إعلاء لشأن وطننا الغالى ، غير عابئين بأفكار هؤلاء المتطرفين ، فقديما قال سيدنا عمر رضى الله عنه:"اذا أراد الله بقوم سوءا ابتلاهم بكثرة الجدل وقلة العمل".

****

انتهت المقالة...

فوجئت بوديع يظهر أمامى بعد طول اختفاء. تغير مظهره تماما بعد أن أطلق لحيته وارتدى الجلباب والزنوبة. كان منظره بالنسبة لى مثيرا للقرف. تعجبت لجرأته أن يزورنى فى الجريدة دون سابق اتصال.لم يكفه مالاقاه منى من قبل، بل تمادى فى اعتقاده بالوصاية على غيره. قال وهو ممسك بالجريدة فى يده وقد فتحها على صفحة مقالى مشيرا اليه:

- **ماهذا ياراوية؟ هل جننت؟**
- **اسمع ياوديع. يجب أن تلتزم بحدود علاقة الجيرة التى تجمعنا**
- **أنا لم أتجاوزها**
- **بل تجاوزتها فلا يحق لك أن تتهمنى بالجنون**
- **أنا أخاف عليك ياراويه فهجومك على الجماعة يستفزهم جدا**
- **ان شاء الله يولعوا بجاز.. ما دخلك أنت بهم؟**
- **أنت حرة**
- **طبعا حرة**

لفتت نظرى نبرته التهديدية وهو يقول لى "أنت حرة". المضحك فى الأمر أنه قبل أن يتدروش أو يدعى الدروشة لسبب ما والله أعلم ، كانت له محاولة معى لأن يتقرب منى عاطفيا ولكن بأسلوب لزج تنفر منه أى أنثى. يتحدث بمنطق العارف الوحيد بكل أمور الدنيا والدين رغم أنه لايعد – فى عرفى – مثقفا، فمعظم معلوماته لم يتلقها من الكتب بقدر ما تلقاها من الجرائد والتلفزيون والمشايخ الذين لابد انهم استقطبوه فى لحظة ضعف سخط فيها على الحياة لمجرد أنه لم يوفق فى الحصول على عمل، أو لأن الفتاة التى كان مرتبطا بها فكت الارتباط من جانبها فجأة. لم أكن أتصور أن فكره ساذج الى درجة ان يتحول الى نصف درويش لسببين مردود عليهما. الأول أنه كان بمقدوره أن يفعل مثلما فعل كثير من الشباب بأن قبلوا العمل فى أى مجال بصفة مؤقتة لحين أن تاتيهم فرصة العمل المناسبة ، حتى لايشعروا بمرارة البطالة ولا يعانوا من أضرارها المادية والنفسية.

أما الثانى فالفتاة لها عذرها إذ اختارت من هو أنسب لها وأفضل ، وهذا من حقها ، فضلا عن أنه لم يكن هناك ارتباط رسمى بينهما يصعب من مسألة الانفصال، وحتى لو كان هناك ارتباط ، يظل من حقها أن تفسخه ولا تلام على ذلك.

من ناحيتى أعتقد أن نبيلة لها مبررات أخرى غير معلنة ، لو كنت مكانها لكانت هى الأسباب الأولى للهروب منه. أولا أسلوبه فى الحوار مزعج ومنفر. لايعرف كيف يخاطب الأنثى.ثانيا ملبسه يخلو من الأناقة، وثالثة الأثافى رائحة عرقه التى لا تطاق.

أكثر ما كان يستفزنى فى وديع هو سطحية معلوماته الدينية التى يتشدق بها فى أى مناسبة دون التأكد من صحتها أو التعمق فى فهمها.دائما يتغنى بالخلافة ويمجد فى أيام الخلفاء فى كل عهودهم ويتمنى عودة أيامهم حتى تستقر أمور البلاد!. قلت له ان عصور الخلافة كان أغلبها قتل ومؤامرات ودماء ونهب للأموال. ضربت له مثلا بقصة الخليفة العباسى المستعصم بالله مع هولاكو التتارى. كان هذا الخليفة مترددا ضعيف الشخصية شديد البخل عاشقا للمال، وكان يضن به على جنده. عندما أقبل التتار على بغداد عام1258 لم يحشد الخليفة جيوشه ، بل سرحها استجابة لنصيحة وزيره الخائن"مؤيد الدين" المتعاون مع التتار. ولما هزم شر هزيمة طلب من هولاكو الرجوع عن بغداد فى مقابل أن يدفع له – بمنتهى الاذلال – جزية سنوية.لكن هولاكو وضعه فى كيس من القماش وداسته حوافر الخيل حتى مات. كان هولاكو قد وضع

أمامه قبل ذلك كومة كبيرة من الجواهر التى كان يخفيها فى قصره ، وطلب منه أن يأكلها. قال له الخليفة:

- الجواهر لايمكن أن تؤكل أو تزيل جوعا

رد عليه هولاكو فى احتقار:

- فلماذا لم تنفقها على جنودك حتى يحموك ، أو لجنودى حتى يسالموك؟!

تململ وديع فى مقعده ولم يجد ما يقوله. انتهزت الفرصة لأؤكد له أن التفكير فى مسألة عودة الخلافة هو تفكير رجعى متخلف، فضلا عن أنها فكرة وهمية تندرج تحت مسمى الخرافة. قلت له:

- فى المقابل نجد أن الامبراطور الرومانى ماركوس أوريليوس عندما احتاج الى المال لإعداد جيش لرد الأعداء ، قام ببيع نفائس القصر الامبراطورى فى مزاد علنى ، وكذلك الودائع الثمينة التى تكدست منذ أيام الأباطرة السابقين فى خزائن القصر، حتى ملابس الامبراطورة المطرزة بالذهب باعها فى المزاد نفسه. كما أنه لم يتردد فى تجنيد العبيد والمرتزقة والمبارزين فى الجيش الرومانى بمقابل مادى لتعويض النقص فى عدد الجنود.

كل ما استطاع قوله ، بنبرات غبية:

- لكنه كافر

لسوء حظه الدائم معى – رغما عنى – أضعه موضع المقارنة مع صقر فيما يقول ويفعل ويفكر، لأجد أننى أقارن بين جرذ وأسد. سافرت بعيدا وتركتنى يا صقر. كنت شهابا منيرا اشتعل فى سماء مصر ثم انطفأ فهوى. لماذا ذهبت وتركتنى أتأوه ألما وأحلم بهيبة طلتك ونور طلعتك وحلاوة كلماتك وذوقك الرفيع. كنت رجلا حقيقيا وقليل من هم مثلك. غيابك جعلنى لا أحلم بغد جميل، بل دفننى بين الأوراق والأحبار. بدأت اتقدم فى السن وقد عجزت عن العثور على رجل احترمه وأثق به قبل أن أحبه. آه من ابتسامتك الساحرة التى ابتلعها تراب الأرض. لايعنينى أنك تزوجت من حبيبتى ألطاف ، فقد كان حبك يكفينى وأنت فاهم ومقدر دون أن تسىء أو تجرح أو تتجاهل. تركتنى لهذا الغبى الذى ينصحنى تارة ويتملق مشاعرى تارة أخرى ، وهو فاشل فى الحالتين. لكن بم يفيد الحزن عليك والأسى على فراقك ، وما حدث من صنع القدر الذى لاجدوى من الاعتراض عليه.

يبدو أن تهديد وديع لى بقوله"انت حرة" لم يكن على غير أساس. فقد أعقب نشر مقالتى ثم تهديده سلسلة من الشتائم والبذاءات على صفحات جريدتهم الصفراء والصاق كافة الصفات الحقيرة بشخصى ومنها مايمس العرض!..فجّار فى خصومتهم ، وهى صفة المنافقين. لكن لا بأس سوف أستمر ولن أعبأ بهم.

****

صقر الاسكندرانى

****

فى غيبوبة الموت كنت أرى ابنى وابنتى وزوجتى وقد أخذتهم راوية جميعا فى حضنها وراحت تربت عليهم وتهدىء من روعهم وتؤكد لهم أننى لم أمت.

الذى كان يذهلنى ولم أفهمه حتى بعد أن غادرت مقبرتى، هو أننى لم أصدق حتى اللحظة الأخيرة أن قاتلينا مسلمون مثلنا، بل ومعظمهم مصريون أيضا.لم أفهم حتى الآن مغزى هذه الكراهية الشديدة التى تعمى قلوبهم تجاهنا نحن حراس أمن الوطن. أعلم أن قطيعا من هؤلاء المجرمين ما هم الا مجرد مرتزقة تبحث عن المال ، فلا يعنيهم أمرنا فى شىء ان كانوا مصريين أو قادمين من بلاد أخرى. وأعلم أن قطيعا آخر يتاجر بالدين ويردد أفكارا لايهم أن يكون مقتنعا بها أو غير مقتنع ، فالأمر لايعنيه من قبل ومن بعد. المهم أنها تعود عليه إما بالثروة وإما بالسلطة أو بالاثنين معا ، وهذا هو القطيع الأكبر منهم. أما الشباب المساكين فمعظمهم قد غسلت أدمغتهم بأفكار المنظرين ذوى الغرض والذين لا يعنيهم أمر الوطن فى شىء، ويعتقدون أنهم الوحيدون أصحاب الحقيقة المطلقة، حتى أن كبيرهم قال يوما فى حديث صحافى:

- ان الجماعة لاتعتذر عن شىء

فهو يراها معصومة من الخطأ عصمة الأنبياء.

****

خلقنى الله كى أكون جنديا فى الحياة وفى الممات. لايهم أن أشهد أحداث انتصاراتنا على الارهاب بجسدى فيما مضى ، أو بروحى فيما يأتى ، فالفرحة عندى واحدة ، وقد أعلن المتحدث العسكرى عن تنفيذ القوات المسلحة لعملية شاملة بمختلف الاتجاهات الاستراتيجية للقضاء على العناصر الارهابية، وقال المتحدث فى البيان رقم واحد للعملية الشاملة2018 ان العملية تهدف الى تطهير المناطق التى يتواجد بها الارهابيون لاقتلاعهم من جذورهم. كما أكد مصدر أمنى كبير بوزارة الداخلية على رفع حالة الاستنفار والتأهب الأمنى للدرجة القصوى فى جميع محافظات مصر، واتخاذ كافة التدابير الاحترازية التى من شأنها حفظ الأمن فى ربوع البلاد، خاصة فى ظل الحرب الشرسة التى تخوضها قوات الشرطة بالتنسيق مع رجال القوات المسلحة لاقتلاع جذور الارهاب البغيض. وقال المتحدث فى البيان رقم اثنين ان عناصر القوات البحرية تقوم بتشديد اجراءات التأمين على المسرح البحرى لقطع خطوط الامداد على العناصر الارهابية ، كما تشدد قوات حرس الحدود والشرطة اجراءات التأمين على المنافذ الحدودية والمجرى الملاحى.

وتتوالى البيانات العسكرية الصادرة عن القوات المسلحة تطمئن الشعب بأنها قادرة على سحق الارهاب خلال أشهر معدودة.

****

هؤلاء المعصومون يعتبرون زراعة الخيار حراما لأن شكله يعطى ايحاء جنسيا. نصفهم الأسفل فقط هو الذى يشغل أدمغتهم وجل اهتمامهم. شاهدت سيدة تدعى أنها داعية اسلامية على احدى القنوات تصرح بأن مضاجعة الرجل للحيوانات حلال بشرط ألا ينجب منها. أظن انها هى نفسها – ان لم تكن مدعية أخرى غيرها – هى التى صرحت بأنه يحل للرجل مضاجعة زوجته الميتة. ناهيك عن تحليلهم شرب بول الإبل وإرضاع الكبير وإنكار كروية الأرض وتكفير الحاكم والمحكوم واستباحة دماء وأموال أهل الذمة ، واعتبار العمل الارهابى عملا اسلاميا مجيدا.

تاريخهم مع الحكام فى كل العصور يشهد بأنهم لا مبدأ لهم غير الانتهازية واللعب على كل الحبال للحصول عللى غرضهم الرئيسى وهو السلطة. عندما تحالف معهم السادات ليقضى على

معارضيه من الشيوعيين والناصريين فإنهم قتلوه شرقتلة، لينطبق عليه المثل القائل:"ان من يربى الثعابين السامة فى بيته لن يلبث أن يتعرض يوما لسمومها لأنها حتما ستلدغه."
كان وديع يعيرنى دائما بفشل سياسات الدولة ، وبأن الاخوان و الجماعات الاسلامية هم وحدهم القادرون على سد الفراغ الذى يخلفه هذا الفشل. أسسوا شبكة مصالح اجتماعية مع الأحياء الفقيرة والمتوسطة كالمستشفيات ودور الحضانة والمدارس والعيادات ذات الأجر الرمزى والمستوصفات المجانية وتوزيع المواد التموينية مجانا وكذلك البطاطين فى الشتاء ، مع مسارعتهم لنجدة المنكوبين فى الطوارىء المفاجئة كالزلازل والفيضانات بتقديم الطعام والكساء لهم بلا مقابل وفى زمن قياسى عقب وقوع الكارثة.
وقال المتحدث العسكرى فى البيان الرابع للقوات المسلحة أنه قد تم تدمير ستة وستين هدفا تستخدمه العناصر الارهابية فى الاختفاء، والقضاء على ستة عشر عنصرا تكفيريا واكتشاف وتدمير مخزن للعبوات الناسفة وسيارتى دفع رباعى ، بالاضافة الى القبض على أربعة ارهابيين أثناء محاولتهم مراقبة واستهداف القوات بمناطق العمليات. وذكر البيان أنه تم ضبط ثلاثين شخصا من المشتبه بهم ، جارى اتخاذ الاجراءات القانونية حيالهم ، واكتشاف وإبطال مفعول اثنتا عشرة عبوة ناسفة تم زرعها على محاور تحرك القوات وتدمير أحدى عشر سيارة دفع رباعى وضبط ثلاثين دراجة نارية بدون لوحات معدنية وتدمير ثلاثة مخازن عثر بداخلها على كميات كبيرة من المواد المتفجرة والعبوات الناسفة والملابس العسكرية. كما أشار البيان الى اكتشاف وتدمير معمل ميدانى كامل ، كانوا يستخدمونه فى تصنيع العبوات الناسفة ، واكتشاف وتدمير مركز اعلامى عثر بداخله على العديد من الحواسب الآلية ووسائل الاتصال اللاسلكية والكتب والوثائق والمنشورات الخاصة بفكرهم الجهادى ، بالاضافة الى تدمير ست مزارع لنبات البانجو والخشخاش المخدر بمساحة اجمالية بلغت نحو عشرين فدانا ، وضبط ثمانية عشر طربة من جوهر الحشيش المخدر.

****

يا الهى!!...
هل كانت كل هذه الأسلحة والذخائر والعربات والمتفجرات مكدسة فى أرض سيناء لتوجه الى صدور الشباب المصريين؟..
متى وكيف تم ترسيخها ، ومن الذى قام بذلك ، ومن الذى ساعد على ذلك؟؟..لو أقررت بالواقع دون حساسية لقلت ان مئات الأنفاق التى تم انشاؤها بين قطاع غزة وسيناء كانت السبب الأول فى تفاقم الكارثة. لن أخجل من القول بحقيقة أن بعض الجماعات الفلسطينية كانت تدعم تهريب السلاح والمتفجرات والمخدرات من فلسطين الى مصر ، أما الوقود فكان يهرب من مصر الى فلسطين. فلسطين التى استشهد لأجلها خيرة الضباط والجنود المصريين ، يساهم اليوم بعض رجالها فى تخريب مصر وتدمير جيشها ، بدلا من أن يصوبوا أسلحتهم تجاه عدوهم الحقيقى.
واجهت فلسطينيا تم أسره ضمن احدى الجماعات الارهابية بما يفعلونه بنا نحن شركاؤهم فى المصير الأمنى والتاريخى . راح يلعب بعقلى مرددا نظريات ماسخة تقول بأن هناك مؤامرة دولية على الاسلام – لا على مصر - تتكون من الاستعمار الغربى الذى يكره الاسلام منذ غزو العثمانيين لأوروبا، والصهيونية الطامعة فى فلسطين ، والشيوعية التى حاولت السيطرة على الأمم بإنكار الأديان.
نظرية المؤامرة هى مهرب كل أصحاب الغرض الكاذبين.وللأسف فإن الرجل الأبله الذى ينتمى الى هؤلاء المنافقين ، والذى حكم مصر فى غفلة من الزمان لمدة عام ، قد أيد الاتجاه الأمريكى الصهيونى لحل مشكلة فلسطين بتوطين الفلسطينيين فى سيناء وغلق ملف القضية الى الأبد. كان بالفعل على وشك تسليمهم سيناء كاملة لقاء عدة ملايين من الدولارات لولا ثورة 30 يونيه. اذن فالمؤامرة من عندنا نحن ، ولا مانع أيضا أن يفرج هذا المعتوه عن قتلة

السادات وكثير من أنصاره المجرمين الصادرة ضدهم احكاما جنائية مختلفة ، ومن بينهم أحد أقاربه.

****

روحى ترفرف على شاطىء الأنفوشى وترفرف معها أرواح الآباء والأجداد الراحلين من كبار رجال الحى مثل عم محروس وعم ألماظ . أرى الفلايك والكواتر والدناجل وأسمع مدفع الإفطار وأرقب الجنود على الشاطىء فى حرب 1956 ينتظرون مظلات العدو ، ونساء الحى يوزعون عليهم الطعام والشاى وخميس فلفل يرقص مرحا عندما سقطت الطائرة الفرنسية فى البحر وأنا أحب الجندوفلى حبا شديدا أكثر من الجنشل، كما أحب الجلجلة وبلح البحر والأزقة المواجهة للشاطىء والأزقة الضيقة التى أفرخت أعظم علماء مصر والبيوت الصغيرة الواطئة المتلاصقة ذات الأبواب الخشبية المزركشة التى تتوسطها قبضة على شكل يد آدمية ممسكة بكرة حديدية تطرق الباب فيشد حبل من الداخل ليفتح الباب. أنا خادم هؤلاء الناس المتحابين المتعاطفين مع بعضهم البعض فى الأحزان والمسرات وسرادقات العزاء حيث يجلجل القرآن بأصوات مقرئين لايعرفهم أحد لكن أصواتهم ملائكية وكأنها منبعثة من الجنة، وشوادر الأفراح والمطربين المجهولين الذين يشعلون المكان بأنوار الفرحة والسرور وهم يرقصون ويصفقون. أنا الجندى الذى خلقنى الله لأحرس هؤلاء الناس وأدافع عن حياتهم حتى الموت. القصص التى سمعتها من أهالينا الكبار عن آبائهم وأجدادهم كلها قصص كفاح مشرفة ومواقف نبيلة تنم عن شهامة أولاد البلد وشجاعتهم ورجولتهم.

كان مقهى عرفة المواجه لكورنيش الأنفوشى مكتظا بالرواد فى انتظار مرور موكب عبد الناصر. روى لى أبى أن زوج أخته كان يسب فى عبد الناصر معترضا على سياسته فى بعض الأمور . كان من بين الحضور صديق له يونانى الجنسية.عندما مر الموكب اشتعل الحماس بين الجالسين فوقفوا وقفزوا وصرخوا وهللوا وهتفوا للزعيم، لكن اليونانى كرر نفس السباب الذى ردده قريب أبى ،فما كان من أبى إلا أن شتمه ودفعه بيده حتى كاد يسقط على الأرض وقال له:

- نحن نشتمه على كيفنا ، أما أنت فلا!

عندما اختلف عبد الناصر مع محمد نجيب القائد الأول لثورة يوليو1952، تحالف الثانى مع الاخوان. بعد ذلك ألغى عبد الناصر استقلالية الأزهر فجعله تابعا لرئاسة الجمهورية التى أصبحت تعين شيخ الأزهر بمعرفتها ، وفى نفس الوقت خلق رباطا اعلاميا ناجحا بين الاشتراكية والاسلام وبذلك حقق توازنا بين حربه القاسية ضد الإخوان وبين إضفاء المسحة الاسلامية على نظامه.

أما فى عصر الملك فاروق فقد حاولوا تنصيبه على العرش فى احتفال دينى نفاقا له ، ورغبة منهم فى ممالأة السلطة كما اعتادوا، لكن مصطفى النحاس رفض بشدة وجلجل صوته فى مجلس النواب قائلا:

-" ان ذلك اقحام للدين فيما ليس من شئونه وخلق سلطة دينية خاصة بجانب السلطة المدنية، والاحتفال بمباشرة الملك سلطاته الدستورية شىء آخر ، فهو مجال وطنى يجب أن يتبارى فيه سائر المصريين ، مسلمين وغير مسلمين".

تظاهر الوفديون هاتفين:

- النحاس أو الثورة

أخرج حسن البنا رجاله يهتفون فى المقابل:

- الله مع الملك!

****

جاء فى البيان العسكرى الخامس للعملية الشاملة ان القوات قد نجحت فى تدمير ثلاثة عشر مخبأ عثرت عليهم تحت الأرض مخبأ بهم كميات كبيرة من مواد الإعاشة وقطع غيار للدراجات النارية وأدوات تصنيع العبوات الناسفة. كما تم اكتشاف وتدمير نفق مجهز هندسيا ومغطى بطول مائتين وخمسين مترا وعرض مترين، كما عثر على ورشة كاملة لتفكيك

العربات المسروقة لاستخدامها فى عملياتهم القذرة، فضلا عن استهداف وتدمير أربع عربات محملة بالأسلحة والذخائر كما قتل كل الارهابيون القائمون على أعمال تهريب المخدرات وبيعها لتمويل العمليات. وجاء فى البيان السادس انه قد تم تدمير سبع سيارات فى غارات جوية أثناء محاولة العناصر الارهابية استخدامها للهروب من القوات المكلفة بعمليات التمشيط والمداهمة. كما تمكنت القوات من القضاء على خلية ارهابية شديدة الخطورة مكونة من عشرة تكفيريين ، أثناء الاختباء بأحد المنازل فى نطاق مدينة العريش . وأعلن البيان القبض على أربعمائة فرد من العناصر الاجرامية منهم جنسيات أجنبية ، وعن اكتشاف وتفجير تسعة وسبعين عبوة ناسفة تم زرعها بمناطق العمليات ، وعثر على مخزن تحت الأرض يحتوى على عشرة ألغام مضادة للدبابات تم تدميره وتدمير تسع مزارع للبانجو والخشخاش. كما تم ضبط أكثر من سبعة أطنان من المواد المخدرة وسيارة محملة بأكثر من مليون ومائتى ألف قرص ترامادول المخدر.

****

تحررت من الخوف وسائر أنواع الحساسية الدينية والسياسية والاجتماعية منذ خرجت من مقبرتى الى عالمى الثانى قبل البعث. ولأننى أصبحت حرا غير مقيد ، فدعونى أصرح لكم بكل وضوح أن معظم مشايخنا المعاصرين أفاقون كاذبون أو بالعامية المصرية"نصابون"! ذلك أنهم يرددون أقوالا منسوبة الى الدين كالتى سبق أن ذكرتها والتى أضافوا اليها الآن أنه"لاقيمة للفعل أو الأخذ بالأسباب أمام تأدية العبادات ، فلا مقاومة للأعداء بالسلاح وإنما بالدعاء عليهم فى المساجد بالهزيمة والموت والهلاك وبطلب النصر من الله وكسب الثواب بالخروج وراء الجنازات لتشييع الموتى ، والحصول على العلم اللدنى من الله مباشرة للمتفانين فى العبادات". يعتقدون أنهم سينتصرون على أعداء الاسلام بالدعاء ، وينتظرون المعجزات التى ستحقق لهم ذلك ، سواء بانتشار الوباء بين الأعداء أو بظهور المهدى المنتظر ليحقق العدل بين الناس.

يقولون إن الأرض – التى ليست كروية – يحملها حوت ، وإنه حرام أن تخلع المرأة ثيابها أمام الكلب الذكر، وحرام أيضا أن يتجرد الزوجان من ملابسهما كاملة خلال المضاجعة، وكذلك حرام أن تتحسس المرأة جسدها أمام المرآة حتى لايعشقها شيطان!.

ينسبون –كذبا – الى الرسول حديثا يبررون به فلسفة التخاذل و"الاستنعاج" عند فقهاء السلطان من الاخوان المتأسلمين وجماعاتهم اللااسلامية. يقول حديثهم:"لا تسبوا الولاة فإنهم إن أحسنوا كان لهم الأجر وعليكم الشكر ، وإن أساءوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر، فلا تستقبلوا نقمة الله بالغضب والحمية ، بل استقبلوها بالاستكانة والتضرع". كما نسبوا اليه حديثا مشابها يقول:" لاتشغلوا قلوبكم بسب الملوك ، ولكن تقربوا الى الله تعالى بالدعاء لهم يعطف الله قلوبهم عليكم"!!

****

القصة المكررة عبر التاريخ للتحالف الثلاثى بين السلطة ، والفقيه أو الكاهن ، والملأ ،حدثت عندما حاول الملك فؤاد التحكم فى الأزهر استقواء بالدين وفقهائه الكهان فى مواجهة عدوه اللدود سعد زغلول. أقسم أنه لن يسمح لهذا الفلاح بالدخول من باب القصر ، لكنه اضطر الى تكليفه بالوزارة بعد ثورة1919 الشعبية. كان طموح فؤاد نحو الخلافة الاسلامية مكملا لمعركته ضد خصومه. كانت فرصته عندما ألغى أتاتورك الخلافة فى مارس1924 حين تحرك فؤاد ومعه منافقو الأزهر وعلى رأسهم الشيخ مصطفى المراغى لتنصيب فؤاد خليفة للمسلمين.

ولأن مصر محروسة بأمر الله ، فقد تصادف أن أصدر الشيخ على عبد الرازق فى العام التالى لإلغاء الخلافه كتابه التاريخى"الاسلام وأصول الحكم" الذى قال فيه بالنص الحرفى:

" ليس هناك من حاجة الى تلك الخلافة لأمور ديننا ودنيانا، فالخلافة كانت ولم تزل نكبة على الاسلام والمسلمين وينبوع شر وفساد". حوكم الشيخ على ونزعت منه شهادة العالمية ومحى اسمه من سجلات الأزهر ومنع من ممارسة أى وظيفة فى أى مكان.

****

الناس فى مصر

(ملحق تقريرى رقم2)

****

● ويبكى مصرى نهاية الكوزموبوليتانية بمصر فيقول :

" لقد قضى الارهاب على التنوع الكوزموبوليتانى المصرى الرائع يوم نسف مديرية الشرطة بالدقهلية فى جريمة متكاملة راح ضحيتها سبعة عشر شهيدا وما يزيد عن مائة مصاب. لم يسلم مسجد العباسى المجاور لها من الدمار وكذلك المتحف الأثرى الاسلامى ، ومعظم المحال التجارية فى منطقة العباسى التى تبيع الأجهزة والملابس والمأكولات. بذلك شمل الدمار حياة الأسر التى تمتلك تلك المحلات وتعمل بها ، مسلمين ومسيحيين.

مقهى"أندريا" الثقافى الأثرى تم تدميره بالكامل. طالما ارتاد هذا المقهى مشاهير الفنانين والفنانات والشعراء من أمثال على محمود طه وابراهيم ناجى وصالح جودت. كانت الروح المصرية أكثر تقبلا للآخر والعقليات أكثر تفتحا واستنارة. نموذج للوسطية والاعتدال وحب الفن ونبذ التطرف وإذكاء روح المحبة بين الجميع. البيرة تقدم كمشروب شعبى ، والنساء فى أبهى ثيابهن لايخشين تحرشا أو اغتصابا. بالقرب من موقع المديرية تقع حارة اليهود وبها معبد لهم، وكذلك أكثر من كنيسة من الكنائس النادرة مثل كنيسة القديس اثناسيوس اليونانية. فى نفس المنطقة يوجد متحف ابن لقمان حيث أسر المصريون الملك لويس التاسع، ومحال بيتزا ايطالية وورش للصناعات اليدوية، وكافيهات من البوص على الجانب الآخر من النيل، مضيفاتها فتيات أرمينيات رائعات الجمال من سلالة سكنت المدينة قبل أن تغزوها أفكار النفط والبداوة والتدين المظهرى منذ السبعينيات، لتصبح منذ ذلك الوقت معاقل للجماعات الارهابية وأرضا خصبة للأفكار المتشددة والشاذة. ولا عجب فى أن هؤلاء المنتمين – خطأ - الى جنس البشر والذين دمروا كل ما يمت للفن بصلة لم يظهر فى تاريخهم الطويل موسيقار أو شاعر أو روائى أو فنان تشكيلى."

****

● ويعرض آخر وجهة نظره فى سبعة أسباب لانتشار الجماعات الاسلامية المتطرفة :

1- الثقافة الاجتماعية الموروثة من عصور الجاهلية وهى ثقافة بدوية متخلفة فى مضمونها، عصية على التغيير والتجديد أو التطور. تواجه الحداثة بالنفور وتقدس العنف الدموى وتربطه بالأصالة والرجولة والشرف.

2- العداء المستفحل ضد أى فكر غير اسلامى يصنع من الثقافة الاسلامية ثقافة أحادية الجانب تعادى كل ثقافة مخالفة.

3- انتشار ثقافة الموت بين المسلمين ، إذ يخاطب أحد زعماء الارهاب الاسلامى أهل الغرب قائلا لهم علانية :

- أنتم تحبون الحياة ، ونحن نحب الموت!!

4- إساءة بعض المسلمين لفهم واستخدام الآية التى تقول"ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين" استخداما صحيحا،فرغم نزولها وفق سياق تاريخى معين ولها علاقة بأسباب نزولها وظروفها الزمانية والمكانية، رغم ان لكل مقام مقال ولكل زمان رجال والأمور مقرونة بأوقاتها ، الا أن الاسلام السياسى الذى يدين السياسة ويسيس الدين قد جعل من هذه الآية وماشابهها"ان الدين عند الله الاسلام" تكئة غير حقيقية لتكفير الغير بلا وجه حق.

5-اتخاذ الحكومات المستفيدة من هذه الجماعات وسيلة قمع لمواجهة الحركات الديموقراطية والعلمانية من أجل البقاء فى السلطة دون منافس.

6- فشل الحكومات العربية فى حل أزماتها المتفاقمة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا، وقد اشتدت وطأتها بسبب الانفجار السكانى وتفشى البطالة وفساد الحكم وانتشار الرشوة بين الموظفين الحكوميين وتبذير ثروات البلاد فى التسلح بداع وبلا داع.
7- الصراع الدائم بين المعسكر الغربى الرأسمالى بقيادة امريكا والمعسكر الشرقى الاشتراكى بقيادة روسيا.كل طرف يدعم الأحزاب السلفية لمواجهة الأفكار الشيوعية تارة والرأسمالية تارة أخرى.

****

● ويتعرض مصرى آخر لنظرة الجماعة الاسلامية الى جماعة الاخوان المسلمين فيقول:
"اختلفت الجماعة الاسلامية مع جماعة الاخوان المسلمين فى العديد من القضايا مثل الحاكمية وعدم تكفير الحكام، والاعتراف بشرعية الأنظمة السياسية والمؤسسات العلمانية، والمشاركة فى الانتخابات النيابية الزائفة ،والتعامل مع الأحزاب السياسية العلمانية، والترشح لمجلس الشعب ، وادارة المساجد والقاء الخطب والدروس.
من جهتها شنت جماعة الاخوان هجوما شديدا على الجماعة الاسلامية فتبرأت من عملياتها ووصفتها بالعمليات الارهابية الاجرامية."

****

وديع الهجـــين

****

ظلت تحب صقرا حتى بعد أن أذلها وتزوج من صديقتها. عندما حاولت الاقتراب منها والتقرب الي قلبها لفظتنى كحشرة. هكذا أحسست ، رغم انها كانت مهذبة فى رفضى. انتهت بذلك العلاقة بيننا ، فلا الصداقة القديمة بقيت ولا مشاعر الحب وجدت. فلتهنئى بعنوستك يا راوية حتى يبعث الله الحيوانات المفترسة يوم القيامة لتفترسك مع الكفار فى جهنم الحمراء.

من المؤكد أنك لاتحسنين الوضوء – هذا إن كنت تصلين - ولا تجيدين الدعاء ولا تمضين الليالى فى ذكر الله..لكنك تجيدين انتقاد الجماعة وقذفها بالباطل فى مقالاتك الأسبوعية. اعلمى أيتها المغرورة بما قرأت من فكر أوروبى أن الحكم القائم اليوم فى جميع بلاد الاسلام هو حكم كافر لاشك فى ذلك ، والمجتمعات فى هذه البلاد كلها مجتمعات جاهلية، وكل من اشترك فى حزب عقائدى فهو كافر ، وينطبق ذلك على كل من اعتقد فى فلسفة مخالفة للاسلام مثل الفلسفة المادية والوجودية والبراجماتية وغيرها ، وكذلك من اعتقد فى مبدأ سياسى مخالف للاسلام كالديموقراطية والاشتراكية والرأسمالية والوطنية والقومية وغيرها. من المؤكد أنها لاتعلم أن المنظمات التى تقوم على غير أساس الاسلام أو تطبيق أحكام غير أحكامه، لايجوز للدولة أن تشترك فيها كالمنظمات الدولية مثل هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن والبنك الدولى، أو كالمنظمات الاقليمية مثل جامعة الدول العربية. كل من اعتقد فى ذلك فهو كافر مثلك.

هأنت تتهمها بالكفر لأنها لا تؤمن بمبادىء جماعتك. ترى كيف كان سيكون الحال لو قبلت بك حبيبا لها. هل كنت ستحسبها من ضمن الكفار أم ماذا؟. انك تحلم بها كثيرا وهى نائمة فى حضنك عارية حيث تفعل بجسدها ماتريد. تدفن رأسك بين ثدييها وتذوب فى غيبوبة الشبق السحرية. لكنك تعلم أنها لا تحبك ، بل وربما لاتطيقك ، فماذا أنت فاعل بها أو بنفسك يامؤمن؟.

مازالت تواصل نشر مقالاتها العدائية ضدنا ، فضلا عن نشر حلقاتها المسلسلة عن صقر الذى هجرها ولم يعبأ بها. حذرتها أكثر من مرة. طلبت منها أن تكف عن مهاجمة الجماعة والا فسوف يكون مصيرها كمصير فرج فودة وربما أشد قسوة. لم تمتثل ، بل انها تكاد تكون قد طردتنى من مكتبها بالجريدة. بل طردتنى فعلا ، ومنعتنى من زيارتها بالجريدة مرة أخرى.

يومها توجهت بعد صلاة الظهر الى وحيد شرعان مرة أخرى. سألته عن سناء. سخر من قولى ومن ملبسى الاسلامى وضحك وشخر وسب الدنيا وما عليها ، ثم هاتف سناء متسائلا عما اذا كان بإمكانها الحضور قائلا أنه قد جهز لها مفاجأة. سألنى ساخرا وهو يعب الخمر فى نشوة:

- أتمارس الزنا ياشيخ وديع؟!
- هذا بند من بنود جهاد النكاح
- اسلامى أيضا؟!!!
- لاتسخر ، فمن حقى أن يهدأ جسدى ويرتاح حتى أتفرغ للدفاع عن الاسلام
- ولماذا لا تتزوج فى الحلال؟
- لأنى لا أملك ما أتزوج به
- لماذا لم يجد لك اخوانك فى الاسلام عملا شريفا ، أو يزوجونك من احدى الأخوات؟
- أنا أتاجر فى السواك والسبح والبخور والعائد لايكفى للزواج لكنهم وعدونى بحل هذه المشكلة قريبا
- تبيع السواك والبخور يابشمهندس؟!..اذن فما فائدة بكالوريوس العلوم الذى حصلت عليه بعد طول عناء؟

تجاهلت سؤاله فواصل تهكمه:

- لاعجب ، فجماعتك تتبنى نهجا اقتصاديا رأسماليا لايقوم على الانتاج
- علام يقوم اذن؟
- يقوم على التجارة الاستهلاكية فقط
- ومالها التجارة الاستهلاكية؟!..يقول الحديث الشريف ان تسعة أعشار الرزق فى التجارة
- فماذا تقول عن تجارتهم فى العملة؟
- كل التجارة حلال
- كان كبيرهم فى هذا المجال هو الكذاب حارزم ابو اسماعيل الذى كان يطمع أن يحكم مصر هو الآخر فأنكر أن أمه أمريكية الجنسية ، أما كبيرهم فى تجارة البقالة فهو فيلسوف مشروع النهضة الفاشل . الجميع لاينحازون فى سلوكهم هذا الا الى الأغنياء ، ويضحكون على الفقراء بتوزيع زجاجات الزيت وأكياس السكر عليهم فى المناسبات الدينية والأعياد وعند وقوع الكوارث.

جاءت سناء. لم تعرفنى. اندفعت الى وحيد متسائلة بلهفة:

- أين المفاجأة التى وعدتنى بها ؟

أشار الى باستخفاف قائلا:

- هاهى أمامك
- من هذا ؟
- هو وديع بعينه

أطلقت صهلولة مدوية وهى تقول بدلال:

- ينيلك يابعيد!..هو انت؟!!..والله ما عرفتك
- نعم هو أنا
- وما الذى عملته فى نفسك؟
- خلنا أصدقاء ولا تتدخلى فيما لايعنيك
- من حقى أن اتدخل ، لأنى أنفر من النوم معك وأنت بهذا الشكل
- لماذا؟
- عندما التقينا فى المرة السابقة كنت انسانا آخر
- أنا لم اتغير
- لكن قل لى .مادمت قد أصبحت من أولياء الله الصالحين، فلماذا تبحث عن الحرام وتسعى اليه
- أنت لا تفهمين شيئا
- أنا فعلا لاأفهم. لكنك تفهم وتستعبط

قلت لوحيد محتجا ولكن فى رفق :

- هل ترضيك هذه المعاملة يا صديقى؟
- لا شأن لى بكما. عليكما بالتفاهم فيما بينكما

رغم حاجتى الجنونية فى تلك اللحظات الى جسد امرأة يمتص توترى المتصاعد ، الا أنها رفضت بإصرار أن تنام معى ولو أنفقت عليها كل ما أملك من فلوس .

****

عندما التقيت بصقر بعد أن ارتديت الزى الاسلامى وأطلقت لحيتى ، نظر الى فى دهشة ، لكنه لشدة أدبه لم يعلق بشىء وإن لم يستطع اخفاء تعجبه. قلت له:

- ألا تسألنى لماذا غيرت ملبسى؟!
- لا طبعا. ليس من حقى، فكل انسان حر فيما يفعل وفيما يعتقد

ونحن واقفان فى الطريق ، مربنا حسام هيكل الذى رقى مؤخرا الى رتبة النقيب وتولى نيابة مأمورية أحد الأقسام الشرطية بالمنطقة. عندما رآنى حسام لم يستطع أن يتمالك نفسه من الضحك. أظهرت له امتعاضى متسائلا:

- ما الذى يضحكك يا حسام؟
- ظننت أنك تقوم بدور تمثيلى فى مسلسل تلفزيونى

فكرت أن أضربه بقبضة يمينى على وجهه ، لكنى تماسكت ضاغطا على أعصابى.

- ومن قال لك اننى امتهنت التمثيل؟
- وهل التمثيل عيب؟
- بل حرام
- يووووووه!!..كل شىء عندكم بقى حراما يارجل؟!
- عندنا؟..ماذا تقصد بعندنا؟
- أقصد جماعتك التى تنتمى اليها بالطبع
- إنى أتشرف بهذا الانتماء، وأرجو أن تطلب من أختك أن تكف عن الهجوم علينا
- لكن ما تكتبه يتفق مع فكرى تماما
- انها بذلك تعرض نفسها للخطر
- أى خطر؟
- ربما يندفع بعض شباب الجماعة المتحمس للانتقام منها
- اذن فهو تهديد
- لم أقصد ذلك
- وهل يمكن لأحد من هؤلاء الشباب أن يقدم على مثل هذا العمل دون أوامر ، وقد تربوا على الطاعة العمياء؟
- الجدل معك لن يفيد ، ولكن ربما يتجاوزها الخطر اليك شخصيا!

****

التقيت براوية مصادفة بعد ذلك. صافحتنى بجفاء. لم يكن بيننا كلام الا فى السؤال عن أحوال الأسرتين. لما اخبرتها أننى التقيت بحسام شردت قليلا ولم تعلق بشىء. لم أعرف فيم كانت تفكر . تجاهلت تهديدى لأخيها مثلما تجاهله هو الآخر تماما. ربما كانت تخشى عليه منى وربما كانت تتمنى ألا تكون بينى وبينها وبين أخيها صلة من الأساس. ابتسامتها المصطنعة التى ودعتنى بها أثارت شهوتى اليها بعنف.لم أدر ماذا أفعل.كلما داهمتنى مصيبة فكرت فى وحيد. هذه المرة سأعالج نفسى بنفسى. المسألة كلها لن تتجاوز زجاجة من الخمر وبعض التخيلات. أريد أن أخرج من دوامة جسد راوية الذى لا أطوله الا فى المنام الى دوامة الكحول التى ستخدرنى وتنسينى كل شىء ولو الى أجل مؤقت. لكن التزامى يمنعنى عن الخمر. الخمر حرام حرام حرام. إذا كانت الخمر حراما فهل سناء حلال؟.

تمزقنى هذه الازدواجية البغيضة التى تجعل كل ملكاتى متعاكسة متناقضة فلا أعرف راحة البال. الحقيقة الوحيدة التى أرتاح اليها هى طاعتى العمياء للأمير ، والراحة النفسية التى أشعر بها بعد قتل أكبر عدد ممكن من الضباط والجنود. غير أننى أتساءل لماذا لم يفكر أسلافى من الجماعة فى قتل أساطين الكفار المدنيين المشاركين فى المؤامرة على الاسلام ، والذين يحاولون إحياء كل فكر يسعى الى هدمه. لماذا لم يقتلوا زكى نجيب محمود الذى حاول إحياء فكر المعتزلة، ولماذا لم يقتلوا طه حسين الملحد ، ولماذا لم يقتلوا صلاح عبد الصبور الكافر صاحب فكر الاتحاد والحلول؟.. عموما فقد ماتوا كلهم كفارا ومصيرهم ان شاء الله الى الدرك الأسفل من النار.

****

راوية هيكل

****

بعد أن أنجزت الجزء الأكبر من سيرة الشهيد العزيز صقر، عاودت كتابتى عن الجماعات الاسلامية من جديد ، محاولة تتبع التحول الذى أحدثوه بخبث فى المجتمع من بدايته وحتى اليوم. فى البداية يهمنى أن أوضح أننى لا أعترض على كل ما فعلوه على الاطلاق ، فبعضه حق لكن يراد به باطل ، وسوف لاتخفى نواياهم عن القارىء الفطن . كتبت فى مقالى:

" بدأت المسألة بإذاعة الأذان فى الراديو والتلفزيون يعقبه حديث. وبصلاة الشكر التى أداها وأعلنها الشيخ شعراوى على هزيمتنا فى 1967 ، وبقوله ان الذبابة لو وقعت فى اللبن فلا بأس من شربه. البدايات التى أدت الى ألإرهاب لا حصرلها. اصطياد الطلبة الريفيين من المدينة الجامعية ليعودوا الى قراهم فيقلبونها الى منابع للارهاب بعد أن عملت الجماعة على تغيير أنماط الحياة الجامعية ففرضت وقف المحاضرات وسائر الأنشطة فى أوقات الصلاة ، ومنعت اقامة الحفلات الموسيقية والأمسيات الفنية والثقافية، وقام أعضاؤها بتحطيم آلات المخالفين وضربهم بالجنازير فى ظل ادارة جامعية ضعيفة متخاذلة ذات موقف متميع من الجماعة لايختلف عن موقف النظام فى شىء.

وتنفيذا لمبدأ الهجرة فإنهم نزعوا الأولاد من وعائهم الاجتماعى ودفعوهم الى العزلة عن أسرهم وعملهم ومدارسهم وكلياتهم ليقيموا فى تجمعات خاصة - بعيدا عن المجتمع الكافر – تجد من يمولها بسخاء من الداخل والخارج.

نشروا صلاة الجماعة فى المصانع والجامعات أثناء وقت العمل والدراسة، وبدأ المتأسلمون فى فرد سجاجيد الصلاة وشباشب الوضوء فى كل الطرقات. منعوا الاختلاط فى الجامعات ، فلا يجوز لشاب أن يجلس فى المدرج بجوار زميلته. راحوا يصورون الملازم الدراسية مجانا للطلبة. عرفوا كيف يصطادون الفتية المراهقين الذين أنهكهم الفقر والاغتراب ، فاستدرجهم التحالف الشيطانى بين الاخوان والسلطة فى مناخ يشجعهم على المزيد من التطرف. يرددون نداء أختى الملتزمة "ان الحجاب فريضة" ، ثم بعد ذلك" ان النقاب فضيلة". ألغوا كلمة آلو أو صباح الخير أو مساء الخير المتبادلة من زمان بعيد بين الناس فى المكالمات التلفونية واستبدلوا بها"السلام عليكم". حتى فى التحية العادية المتبادلة بين الأشخاص ، تقول لأحدهم"مساء الخير" فيرد عليك بغضب وكأن عقربة لدغته:

- "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته"

وذلك حتى يحرجك ، فأنت غير ملتزم!.. نشروا المعاهد الدينية فى أرجاء البلاد دون حاجة اليها بدلا من المعاهد العلمية المدنية التى نحن فى أمس الحاجة اليها لننتشل أنفسنا من تخلفنا العلمى عن دول العالم. راحوا يبثون أفكارهم الرجعية بين طلبة هذه المعاهد بحيث يصبحون خامات طيعة بين أيديهم.

بدأوا من الزوايا الصغرى يخاطبون عامة الشعب محرمين عليهم الشراء من الأقباط أو معايدتهم فى مناسباتهم الدينية ، وأباحوا للناس إهانتهم فى الشارع وقاموا بالدعاء عليهم فى المساجد. يقول الإمام فى دعائه:

- اللهم ارحم موتانا و موتى المسلمين

ويردد الناس من خلفه:"آمين" ، رغم أن دعاءه يعنى حرمان النصارى من الرحمة الالهية لأنها لاتجوز عليهم. ركبوا العديد من الميكروفونات الزاعقة فى المساجد بحيث يصل الصوت الى الصاحى والنائم رغما عنهما. بدأوا فى اذاعة مراسم الصلاة كاملة فى الميكروفون. سلطوا الشيخ كشك على الفنانة أم كلثوم أميرة الغناء العربى ، يشتمها ويسبها ويهينها. حولوا كلمة المرحوم فلان الى المغفور له بإذن الله فلان. أما دبلة الزواج فلا يجوز أن تكون من الذهب وإنما من الفضة ، فالذهب حرام. توغلوا فى اقتحامهم لأعراف المجتمع السمحة ذات التاريخ الطويل، فراحوا يمنعون الأقباط من بناء كنائسهم لأنهم كفرة مشركين. تطور الأمر بعد أن

أسسوا جماعة التكفير والهجرة الى ان اعتبروا الكل كفار: مسلمين ومسيحيين ، حكاما ومحكومين ، الا القلة الناجية التى لايعرف أحد من هى تماما. ألغوا الفكر والتخطيط العلمى ، فأرجعوا نصر اكتوبر الى ملائكة حاربوا مع الجنود فى 1973. وأخيرا انتهى الأمر بأن نصبوا من رجل معتوه حكم مصر العظيمة بحيث لايستطيع أن يتحرك قيد أنملة فى حكم البلاد والعباد بغير أوامرهم ومشورتهم وتعليماتهم."

****

علمت بعد ذلك أن وديع قد تجرأ وذهب بنفسه الى أخى حسام فى قسم الشرطة ومعه مقالى المنشور فى الجريدة متخذا سمت الناصح الأمين ، طالبا منه أن يحثنى أو يمنعنى عن مواصلة كتابة هذه المقالات لأن قيادات الجماعة غاضبة بشدة ، ولأنه يخشى على من انتقامهم. لكن حسام طرده من مكتبه بكياسة.

لحسام شعبية كبيرة فى المنطقة التى يعمل بها. عرف بين الأهالى بالتواضع وحبه لخدمة الكبار والصغار وتقديمه العون للجميع. كما أن لديه قدرة غير عادية على فض النزاعات وديا بين الأطراف المتنازعة وإقناعهم بأفضلية الصلح على اللجوء الى الأقسام والنيابات والمحاكم. تعاونت جماهير الحى مع حسام فى القضاء على بلطجية المنطقة الذين كانوا يفرضون الإتاوات على التجار وأصحاب المحلات. الكارثة أن أحد البلطجية ويدعى جبريل قد انتهز فرصة الفوضى الدينية الطاغية بالبلاد ، فمارس بلطجته باسم الدين والحلال والحرام منفذا ارادته بالسيف والبلطة. كان منظره مزريا وقد أطلق لحيته الكاذبة التى لم يستطع أن يخدع أحدا بها. استطاع حسام أن يقبض على هذا البلطجى ويجعله عبرة لأمثاله حتى ساد الأمن المنطقة وأصبح الناس فى عهده ينعمون بالهدوء والسلام.

تضاعف غضبى عقب هذه الزيارة، فضاعفت من حدة هجومى عليهم إذ كتبت:

" كان صقر الاسكندرانى يؤمن بأن العلم هو أهم وسيلة لمكافحة الفكر المتطرف. هاله أن يرى ارتفاع نسبة الأمية فى حيه السكنى ، فكان يجمع الكبار والصغار فى مجموعات مختلفة ليمحو اميتهم فيعلمهم القراءة والكتابة هو ومجموعة من أصدقائه المؤمنين بهدفه. أما العلم عند هؤلاء المغيبين فليس بذى قيمة لأن الأميين فى عرفهم فى أول الزمان يجب أن يبقوا أميين فى آخره ، وحتى لو تعلموا فليس مسموحا لهم فى عرف أميرهم الأكبر شكرى مصطفى الا علم الكتاب والحكمة، فلا طب ولا هندسة ولا كيمياء. الكتاب والسنة فقط. هكذا أمر أميرهم الذى سبق أن قال عن نفسه أيام مجده الوهمى :

- أنا طه المصطفى ، وسأحكم الأرض ومن عليها !

كما قال أيضا بثقة بلهاء فى ذلك الزمان :

- نحن نسعى لحكم الأرض كلها ونستحل دم وعرض ومال كل من ينشق علينا!

هذا الرجل كان لايكتب الا بخط يده فقط، رافضا الكتابة المطبعية باعتبار ان المطبعة عتاد كافر لايستخدمه الا الكافرون، خاصة الكتابة بالحبر الأسود.

صقر الاسكندرانى هو روح الشعب المصرى المستنير صاحب الاسلام الوسطى المعتدل النابع من الفطرة الانسانية السوية كما خلقها الله. كل أفعاله وأقواله ومواقفه نابعة من هذه الروح العظيمة. كان يؤمن بالعمل الجاد والاستعداد والتدريب العملى بالأساليب العلمية لتحقيق التقدم فى شئون حياتنا الدنيا بعد أن تخلفنا عن العالم وأصبحنا مجرد مستهلكين لإنتاج الغرب والدول المتقدمة. لم يكن ينتظر الحلول السماوية لتهبط علينا دون جهد أو مشقة ، فالله عنده لايمنح النعمة وثمرة العمل المخلص للمتهاونين والمتخاذلين من الجهلة الذين يكتفون بالدعاء للحصول على أى شىء.

****

قال لى صقريوما:

- ان العقل المسلم قد أصابه الشلل بسبب الاستبداد والارهاب

ثم أطلعنى على وثيقة يصرخ فيها جمال الدين الأفغانى مطالبا هذا العقل بالاستيقاظ قبل فوات الأوان قائلا:

"انكم يا معشر المصريين قد نشأتم فى الاستعباد وربيتم فى حجر الاستبداد، وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة الهكسوس وحتى اليوم وأنتم تتحملون عبء نير الفاتحين وتعنتون لوطأة الغزاة الظالمين، تسومكم حكوماتكم الحيف والجور وتنزل بكم الذل وأنتم صابرون بل وراضون . تناوبتكم أيدى الرعاة ثم اليونان والرومان والفرس ثم العرب والأكراد والمماليك ثم الفرنسيس والعلويين من سلالة محمد على ، وكلهم يشقون جلودكم بمبضع نهمهم، وأنتم كالصخرة الملقاة فى الفلاة لاحس لكم ولا صوت.. أنظروا أهرام مصر وهياكل ممفيس وآثار طيبة وحصون دمياط. انها تشهد بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم هبوا من غفلتكم واصحوا من سكرتكم. انفضوا عنكم غبار الخمول والغباوة. عيشوا كباقى الأمم أحرارا سعداء ، أو موتوا مأجورين شهداء".

****

انى بحاجة الى صدر رجل حنون يحتوينى. يربت على ظهرى ويقبلنى برقة ويحضننى بقوة. أريد رجلا يفهمنى ويعرف كيف يمتص عبثى وجنونى وفوضويتى ولامبالاتى. سأظل أبحث عنه ولن أرضى بغيره بديلا. إما أنك لم تفهمنى ياصقر رغم طول العشرة ، وإما أنك فهمتنى لكنك لم تستطع أن تستوعبنى فتركتنى للأيام. مررت بجنة حبى مرورا عابرا ، ثم مضيت من قبل أن تستنشق عبيرها المسكر وخلفت وراءك دمعا ورمادا.

****

ما أكتبه عن هؤلاء الارهابيين لا يعنى أننى أعاديهم لمجرد أنهم يقتلون أبناء وطنى. اننى أنظر بالدرجة الأولى الى مسألة تسييس الدين وتديين السياسة وقد استحالت حياتنا بسبب ذلك الى جحيم. ثم يأتى هؤلاء المتخلفون لينادوا بعودة حكم الخلافة الذى أثبت التاريخ أنه حكم غير عادل، فالخلافة لم تحقق العدالة والمساواة ولم تحل دون انحراف الخلفاء ونهب بيت المال وترسيخ الطبقية والاقطاع.. واصلت كتابة مقالى الأسبوعى حول نفس الموضوع.

الخليفة المسلم كان صورة طبق الأصل من أى قيصر أو كسرى ، مع أنه كان يسمى نفسه بأمير المؤمنين ، وكان المسلم فى مملكة أمير المؤمنين – كما هو الحال أيضا فى أى نظام ملكى بالدول المتخلفة - مجرد بقرة فى حظيرة جلالة الملك. هو حكم ملكى دكتاتورى استبدادى، يتماثل مع نظم الحكم الفرعونى والبطلمى والرومانى والعثمانى وكل نظم الحكم فى الخلافة الاسلامية حيث تنتقل السلطة بالوراثة لأفراد السلطة الحاكمة التى تستند دوما الى شرعية دينية كاذبة من صنعها هى ، حيث يكون الاله أوظله أو الناطق باسمه هو الحاكم. وكل هذه النظم تغيب فيها المعارضة ، فالكل عبيد لمولاهم الحاكم ، أما القاعدة الفرعونية الخالدة فهى:"ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد".

هناك أمر ملفت فى هذه القضية الوعرة ، إذ حدث خلط واضح عند كثير من الناس بين مفهومى الخلافة الراشدة فى عهد الخلفاء الراشدين الأربعة ، والخلافة غير الراشدة وهم الخلفاء الأمويون والعباسيون والفاطميون والعثمانيون وغيرهم. بحور من الدماء سالت فى القتال بينهم وكل منهم يستقوى بمزاعم الحكم بالحق الالهى والنبوى الذى يرتكز فى حقيقته على التحالف المشبوه بين الثالوث البغيض: الحاكم كسلطة سياسية سواء كان ملكا أو سلطانا أو فرعونا أو خليفة ، والكاهن وهو السلطة الدينية الممثلة فى رجال الدين فقهاء السلطان، ثم الملأ وهم يمثلون السلطة الثروية ورجال المال والأعمال المستفيدين من هذا التحالف. ويستخدم الحاكم الدينى هذا التحالف لامتطاء ظهور الناس وقمعهم وشل وعيهم وترويضهم واستئناسهم كى يتقبلوا من السلطان الظلم والهوان والاستغلال والاستبداد، ويلهيهم عن المطالبة بحقوقهم باختلاق الجدل واصطناع التناحر بين الطوائف والطبقات حول قضايا اشكالية مثل قضية خلق القرآن أيام الخليفة المأمون ، وقضية الحجاب والنقاب المثارة حاليا، وكذلك قضية فوائد البنوك وغيرها.

وفضلا عن إثارة الجدل حول هذه الموضوعات الدينية ، فإنهم يثيرون جدلا فكريا حول موضوعات أدبية وفنية ، فيصادرون الروايات والأشعار معترضين على مضامينها الفنية. ثم يحرمون المظاهرات ويمنعون الطلبة من ممارسة النشاط السياسى والفنى فى الجامعات ، ويضيقون الخناق على النقابات المهنية والأحزاب ، وهذا ماحدث بالفعل خلال الثلاثين عاما الماضية والتى انتهت الى خراب البلاد.

****

انشغلت كثيرا فى الآونة الأخيرة عن ألطاف. قلت زياراتى لها بحكم طبيعة الحياة والأشياء ، فقد أوشك الحزن على التلاشى والنسيان ، وأصبح صقر مجرد ذكرى جميلة عند زوجته وطفليه. كانت قد انتقلت منذ استشهاد صقر الى منزل العائلة ومعها الطفلين. قالت انها لم تعد تطيق البقاء فى بيتها بعد أن خلا من صقر. كان بداخلى بعض الشك فى صدقها وإن لم أعرف له سببا. ما أن انتهت فترة الحداد حتى سارعت بارتداء الملابس الملونة ، مما أثار دهشتى. لكنى بعد تفكير وتروية أدركت أن الحياة الطبيعية يجب أن تأخذ مجراها ، وأن الحى أبقى من الميت كما يقولون. أتقنت ألطاف العمل بمعطيات هذه الحقائق فغادرت منزل الأسرة وعادت الى بيتها من جديد. باعت معظم أثاث الشقة واشترت أثاثا جديدا من المكافأة التى ادخرتها عقب استشهاد صقر.

لاحظت علامات ابتهاج على وجهها ، كما أصبحت نظرتها للحياة أكثر تفاؤلا وطمأنينة. هنأتها على تجديد البيت ولفت نظرى روعة الماكياج الذى استخدمته لتجميل وجهها. كان واضحا أنه من النوع المستورد باهظ الثمن الذى لم أتجرأ حتى اليوم على شرائه. قالت لى بلهجة كلها مرح وشقاوة:

- يلا ياراوية نريد أن نفرح بك
- ربنا يسمع منك
- شدى حيلك بقى
- فارسى لم يظهر بعد
- ولن يظهر مالم تبحثى عنه بنفسك.. هاتى سيجارة

لم تكن ألطاف تدخن من قبل. كلما يمر الوقت أكتشف فيها الجديد وأندهش. أعطيتها سيجارة وأشعلتها لها . نفثت دخانها بخبرة مدخن قديم. قالت محذرة:

- احترسى من فوات الوقت. الواحدة منا لن تعيش مرتين
- أحسدك على هذا الانفتاح المفاجىء على الحياة
- هذا هو عين الصواب. ولدى الدليل على ذلك
- ماهو؟
- سأقدمه لك بعد دقائق

نظرت فى ساعتها بسرعة. شردت قليلا. دق جرس الباب. قامت تفتحه وهى منشرحة.

كان شابا قوى البنيان مفتول العضلات شديد الأناقة. صافحته ألطاف بحرارة. كانت على وشك أن تقبله ، أو كان هو على وشك أن يقبلها ، لكنهما تراجعا بسبب وجودى حسبما ظننت. قالت تقدمه لى بفخر :

- المهندس علاء
- أهلا وسهلا يفندم
- زوجى!!.. قريبا ان شاء الله
- نعم؟!!..

****

صقر الاسكندرانى

****

لا أعتقد أن حزنى على ترمل ألطاف له نظير عند رجل فقدته زوجته وأم أولاده. كلما تصورت ألطاف وهى ترعى الطفلين فى غيابى وتقبلهما وعيناها تبكيان فراقى. يتمزق قلبى ألما وأعيد التفكير فيما تسبب فى هذا الفراق. أسأل نفسى ترى هل كنت مخطئا حين ضحيت بروحى فى سبيل وطنى ولم أعبأ بزوجتى وطفلى؟..أنا واثق أن ألطاف لن تعرف رجلا بعدى، بل سأظل زوجها الغائب الحاضر حتى يكبر الطفلان ويتزوجا. من المؤكد أنها لن تؤذيهما بإحضار رجل غريب ينام على فراشى وتعلمهما أن يقولا له"بابا".

هل هؤلاء الناس الذين ضحيت بحياتى لأجلهم يستحقون هذه التضحية الغالية، أم أنهم لا يعبأون بى وبغيرى من الشهداء. هل يحزنون علينا قليلا ثم ينسوننا ويعودون الى حياتهم وتجارتهم وأزواجهم وزوجاتهم وأولادهم ومناصبهم ، أم أنك على يقين وقناعة بأنك فعلت هذا فى سبيل إرضاء الله؟.. قل الحق ياصقر. أنت لاتعرف الإجابة..وآه من تلك المخلوقات التى تمشى على قدمين وتضحك وترقص وتتفنن فى خداع الإنس والجن والرب. لابد أن أفترض أننى سأعيش معهم الى أجل مسمى ، وأضع تصورا لخطة عملية تتماشى مع مقتضيات المرحلة وطبيعتها. داهمتنى تلك الحيرة عندما تذكرت لصوصية الزمن ومجهولية اللحظة النهائية القادمة. أما لحظتى النهائية فى الدنيا فلا تغادر ذاكرتى. أحتار فى أمر آمال لم تتحقق وطموحات تم اغتيالها وأمنيات سرقها الزمن.

بذلت جهدا كبيرا حتى يستمتع أولادى بحياة أفضل من حياتى عندما كنت طفلا مثلهم، ثم لم أتردد فى نصحهم بالتمسك بالقيم الأخلاقية. كانت كلماتى أسرع من طلقات المدفع الذى كنت أطلق نيرانه على الارهابيين. لكن هل تصلح تربيتى لهم على هذا النحو للتعامل مع أخلاقيات هذا الزمن؟. هذا أيضا ما لست أعرفه.

لاشك أننى أحلم دون أن تنتفى حالة الحلم لمجرد وعيى بها. هأنا أرى غرفة نومى وفراشى خال منى. تتقلب ألطاف على اليمين واليسار فى قلق وأرق وهى تذكرنى. مصباح أزرق فى الركن الأيمن. ستارة خضراء فى الواجهة. قفص أصفر صغير على خوان يتقافز بداخله عصفوران ملونان جميلان. أنفاس هادئة متقطعة تصدر عن ألطاف حبيبتى المسكينة التى تحافظ على حضورى فى الحياة والممات فلا تسمح لرجل آخر من بعدى أن يلمس جسدها الطاهر.

رغم ذلك فقد حلمت فى كابوس مفزع أننى زرتها يوما فوجدت فى بيتى رجلا غريبا. أضغاث أحلام. لقد استشهدت دفاعا عن شرفها وشرف نساء مصر كلهن.الشرف عندى هو مواجهة كل معتد على أرض بلادى. الشرف هو عدم التخاذل والاستخذاء وقبول الهوان من الحاكم الظالم المتحالف مع أتباعه من الكهنة والملأ لسلب الحقوق مع اسدال الجلباب وإعفاء اللحية. ليس بشريف من يقبل أن يضرب على قفاه ويسرق رغيفه ويبصق فى وجهه ويركل فى مقعدته بأقسام الشرطة ، ويعجز عن توفير لقمة العيش لزوجه وأولاده ومن يعول. هذا هو مفهومى للشرف الذى يختلف كلية عن مفهوم فقهاء السلطان له، فهو ينحصر عندهم فى دائرة ثابتة لايغادرها وهى المرأة والجنس والنصف الأسفل من الجسم.

أدركت فى النهاية أن مولدى ومماتى لايعنيان أكثر مما تحمل الكلمتان من معنى ، وأن المسافة بينهما ليست الا حلم غامض...ويواصل من خلفونى من أبناء الشعب المصرى العظيم بالقوات المسلحة والشرطة ملحمة وطنية لدحر قوى الشر والارهاب واقتلاع جذوره من كافة ربوع الوطن خلال عملية المواجهة الشاملة 2018.

اللعنة على هذا الغموض الرائع. أنا لا أفهم شيئا. أتعجب كيف كان حماسى جنونيا لوطنى وأرض بلادى ، وسيناء بصفة خاصة. اننى ميت بالفعل. كانت تنقصنى سعة الخيال حتى يمكننى أن أتصور كل ما رأيته اليوم إبان حياتى. لو كنت نجحت فى ذلك لما تمنيت وتحمست

ولما قاتلت وقتلت. أين راحت تلك الأفكار التى كانت تشغل حياتى وكنت أتمنى أن يعرفها الجميع. ان فصل الدين عن السياسة لا يراد به ابعاد الدين عن الدولة ، إنما يراد به منع رجال الدين من ادارة شئون البلاد الداخلية والخارجية ، فذلك يكسر رابطة المنفعة الجهنمية والمشينة التى تجمع بين الحاكم والكاهن فى تحالف شيطانى بغيض.

****

عالمى الذى أعيشه اليوم عالم غريب. يختلف تماما عن عالمى أيام كنت فى الدنيا. كل الذين عرفتهم وماتوا مثلى يهيمون معى الآن فى فضاء برزخى غامض. عمرى حلم أوجدت له المعنى بأن تحديت الأشرار وقاتلتهم وقتلونى. لم أصدق واقعى الجديد . ربما لم أستوعبه جيدا ، فقررت فى حلم من داخل الحلم أن أحسم ظنونى وشكوكى فأذهب الى سكنى فى الدنيا حيث الزوجة والأولاد وطمأنينة الجدران الأربعة والسقف المتين.

طرقت الباب فأنا لا أحب دق الجرس.. فتح لى شاب وسيم ضخم الجثة. سألته مندهشا:

- من أنت ؟
- أمرك غريب!.تطرق بابى وتسألنى من أنا؟!
- نعم لابد أن أعرف من أنت
- أنا الذى أسألك من أنت؟
- أنا صقر الاسكندرانى
- تشرفنا ياسيدى..أى خدمة؟
- ماذا تفعل فى بيتى يارجل؟

تركنى فى تجاهل مذل. اتجه الى الداخل قائلا فى عصبية:

- تعالى يا ألطاف شوفى من هذا الرجل المجنون

جاءت ألطاف مستفسرة.نظرت الى فى استفسار. لم تعرفنى. لم أصدق نفسى. رأيت المسيخ الدجال أمامى ففزعت منهارا الى بيت أسرتى القديم. اقتربت من الحارة. لم أجد بيتا واحدا أعرفه. البنايات أصبحت كلها ضخمة تطاول السحاب فى ارتفاعاتها. الوجوه المطلة من النوافذ والشرفات غريبة على عينى. أين بيتنا العتيق بسلالمه الخشبية المتآكلة؟. أين تلك الأيام التى تفتح فيها قلبى على مشاعر الحب البريئة الخضراء؟. ما بال هذا الجمع الفوضوى الكبير المحتشد يصلى فى الطرقات؟. الصلاة ياموٴمنين الصلاة. تصلون أيها المسلمون خمس مرات يوميا وتحجون كل عام ، ومع ذلك لم تحصلوا على حقوقكم السياسية ولم تشاركوا فى حكم أنفسكم ولم تتقوا تسلط السلاطين وقهرهم.صلواتكم ودعاؤكم لم يحولوا دون أن ينهب الخلفاء والملوك والرؤساء أموال بيت المال.

رغم أننى مت، الا أنى مازلت منشغلا بقضية عمرى وهى التصدى لهؤلاء الذين يقتلوننا باسم الدين وهم مسلمون مثلنا ، ومعظمهم مصريون مثلنا وبعضهم من المرتزقة الأجانب. لماذا يترك إنسان أهله وناسه وعمله ، ليذهب الى جحور الصحراء وكهوفها يحمل السلاح ويصنع المتفجرات ليقتل أبناء وطنه. حتى لو لم تكن للوطن قيمة فى عرفه المريض ، فهناك الزمالة فى الإنسانية والأخوة فى الآدمية. أتعجب لعدم فزعهم عندما ينثرون دماء الأبرياء على رمال الصحراء ويدوسون فوق الجثث والأعضاء الآدمية ببرود قاتل.

بحثت فى عالمى الانتقالى بعد الموت عن كتب أقرأها ربما وجدت بها تفسيرات مقنعة لهذا الفعل المشين. لم أجد الا كتاب الموتى الذى صدر فى العصر الفرعونى ، وهو كتاب للرقى والتعاويذ ، وهو من أشهر الكتب الكهنوتية فى خداع الناس والنصب عليهم. امتلك الكهنة الفراعنة فرصة كبيرة فى كسب المال بابتكارهم تعاويذ لبيعها للمشترين السذج من عامة الشعب الذين يثقون بهم. رقية للخروج من النار. رقية لمنع أخذ رأس الرجل منه. رقية لمنع إجبار المتوفى على أكل برازه. رقية للحماية من الثعابين والعقارب ، وما الى ذلك من أكاذيب.

استفزنى الكتاب فاستعدت بذاكرتى ما حدث فى هذا الشأن بالقرون الوسطى حين سخر سقراط من الآلهة ومن خضوع الناس لها، ماهدد مصالح الكهنة المرتزقة فأجبروه على تجرع

السم باعتباره زنديقا. مثله أفلاطون ، ثم مارتن لوثر فى العصور الحديثة حين أنكر على الكنيسة بيع صكوك الغفران. أما عندنا فقد أغلقوا باب الاجتهاد الدينى منذ القرن الرابع الهجرى ، فكان ذلك إيذانا بنشأة الاستبداد الدينى إذ تشابه كهنوت رجال ديننا مع كهنوت كنيسة العصور الوسطى ، حين أصدر البابا انوسنت الثالث عام1066م البيان التالى:

" ان البابا هو الذى يضع القوانين الجديدة ، وكل أمراء الأرض يقبلون قدميه، وهو مقدس لا يذنب ولا يأثم ، وليس لأحد أن يحاكمه ، وكل من يحتمى به لا يمكن الحكم عليه، وهو لايخطىء ولا يمكن أن يخطىء."..هكذا منح الرجل نفسه صلاحيات لا تجوز الا لله.

أخيرا ينصب مشايخنا اليوم من أنفسهم أوصياء على خلق الله ويصطنعون الغلو فى الحلال والحرام والترغيب والترهيب فى مزاعمهم الفقهية غير المنزهة عن الغرض ، رغم أنه قد مر ما يقرب من قرن على صدور الكتابين التنويريين المذكورين.

نتيجة لذلك كله أصبح القتال بين الفريقين يدور بشراسة بين قوتين تعتقد كل منهما أنها قوة الخير ، أما الأخرى فهى قوة الشر. قتال مرير لايتوقف كما لو كان مسيرا بقوة خفية تنظمه وتوجهه بحياد خال من الرحمة. لم يكن أمامى الا مواصلة القتال فى صف وطنى ضد أعدائه. يجتاحنى هذيان غريب فى عالمى الانتقالى. تتداخل الأشياء فى بعضها بلا منطق. أحاول استيعابها بما تبقى عندى من قدرة دنيوية سابقة حتى أستطيع أن أفصل بينها. البوليس يقبض على قاتل أمه . البوليس يطارد قاتلة ابنها. اثنان وخمسون طعنة فى الرقبة ياجبار. أى قسوة أيها اللاآدمى القذر.

مصرى مرموق ينتحر اثر اصابته باكتئاب نفسى حاد. موائد السفهاء عامرة. طفل جميل المحيا يمسح زجاج عربة فارهة بخرقة قذرة وعينان تقطران جوعا. الغلاء يذبح الناس. الحكومة ترفع أجور الوزراء والنواب وتضاعف من معاشاتهم أضعافا عديدة وتترك الشعب وحده فى مواجهة الغاء الدعم وتعويم الجنيه وارتفاع سعر الدولار. أنا أتابع يوما بيوم ما يحدث فى وطنى الحبيب الذى لم أنفصل عنه رغم الموت. أسعد بالإيجابيات التى يحققها النظام الحاكم ، وأبكى كلما رأيت الناس يعانون من الظلم وعدم المساواة. تنسكب فى رأسى أطنان من البترول تسبح فيها البوارج المدمرة ثم تنفجر بقوة نيران مروعة وتشتعل طبقا لقانون ثرموديناميكى جديد لم يكتشفه العلماء من قبل ولا الفلاسفة. الجيش المصرى يزداد قوة. أصبح يمتلك حاملات الطائرات والمدمرات والغواصات والطائرات الحديثة بعد أن نوع مصادر تسليحه ولم يعد خاضعا لنزوات الأمريكان المتصهينين.

ويظل مصطفى كمال أتاتورك فى نظرى من أعظم حكام العالم لمجرد أنه ألغى الخلافة الاسلامية وحول دولته الى دولة علمانية مدنية، فانتشلها بذلك من أدران التخلف والرجعية الدينية. رغم ذلك فما زالت تلك الجملة الفظيعة عنه ترن فى أذنى منذ الصبا:

- لقد جاء عليه يوم يجلس فى مقهى اسبلنديد ليتصيد الغلمان

هكذا قال لنا مدرس أول اللغة العربية ونحن فى بداية المرحلة الاعدادية. لم نفهم مقصده الحقيقى الا بعد ذلك بعدة سنوات. كان هذا المدرس يكره الأتراك كراهية عمياء ويردد على أسماعنا دائما:

- تركيا هى عدونا الأول ، لا اسرائيل ولا غيرها

ثم يعاودنى الحنين من جديد الى بيتى الذى يخيل الى أننى حلمت به من قبل. أذهب اليه طائرا بجناحين من الشوق واللهفة.لم أصدق أن ألطاف أنكرتنى فيما ظننت أنه حلم من قبل. تصورتها ترتمى هذه المرة فى حضنى بمجرد أن تلقانى ، ويسارع الطفلان بتقبيلى واحتضانى.

طرقت الباب الذى ربما أكون قد طرقته من قبل. فتح لى عجوز طويل اللحية يرتدى ما يسمونه بالزى الاسلامى ويغطى صدره بعباءة عليها شعار داعش . كأننى أغرق فى بحر لجى متلاطم الأمواج تشدنى الى أعماقه سلسلة تنتهى بثقل حديدى كبير دون أمل فى الطفو من جديد.

- أين ألطاف وسامح وسماح؟

- **من هؤلاء يابنى؟**
- **زوجتى واولادى**
- **آه..تقصد السكان القدامى**
- **لا أفهمك. هذا هو سكنى**
- **من تسأل عنهم تركوا هذه الشقة الى سكن جديد**
- **هل تعرف عنوانه؟**
- **لايابنى. أنا لاأعرف عنوانا لأى شىء**

****

الناس فى مصر
(ملحق تقريرى رقم3)
****

● **ويشرح مصرى آخر وجهة نظر الجماعة فى نظام مبارك فيقول:**

لم تكتف الجماعة بتقديم نظرة شرعية ومنهجية لنظام مبارك كالتي قدمتها في "ميثاق العمل الإسلامي" و"حتمية المواجهة" إنما حرصت أيضا على تقديم نظرة سياسية واقتصادية ومجتمعية عبر عنها القيادي رفاعي طه قائلا "النظام المصري تمحورت سياسته الداخليّة حول الفساد والاستبداد، وسياسته الخارجيّة حول الخيانة والمهانة، فعلى المستوى الاقتصادي نجد ارتفاع معدّلات البطالة، وتوقّف كثير من الصناعات الوطنيّة،وبيع القطاع العام، والتغلغل الأجنبي في مختلف القطاعات الاقتصاديّة، والتملّك الأجنبي لمعظم أصولنا الاقتصاديّة، أو تملّكها من قبل أهل الحكم وذويهم وتحويلها إلى ملكيّات خاصّة يحرم الشعب من الانتفاع بها.

أمّا على الصعيد الأخلاقي فإشاعة الفاحشة، ونشر الانحلال، وإفشاء الفساد صارت سياسات حكوميّة ثابتة.. وجاءت سياسة تجفيف المنابع المعتمدة في العشر سنوات الأخيرة كبلورة للممارسات الحكوميّة في هذا الاتّجاه، وهي سياسة لا تهدف فقط إلى حرب كلّ ما هو أخلاقي، بل تعمد إلى إحلال الفجور والضلال محلّ القيم والأخلاقيّات حتّى على مستوى مناهج التعليم فضلاً عن وسائل الإعلام. فارتفعت معدّلات الجريمة، وشاع في الشباب الإدمان وبرزت في مصر – ولأوّل مرّة – ظاهرة الاغتصاب، حتّى باتت تقع في الشوارع والميادين العامّة دون استنكار من أحد.

كما انتشر الفساد والمحسوبيّة وصارت الرشاوى هي القانون المتحكّم في جميع العلاقات والمعاملات، وشاعت قضايا الفساد في أوساط الحكم إلى حدّ لم يقدروا على إخفائه أو التستّرعليه، فاضطرّوا إلى التضحية بالبعض ذرّاً للرماد في العيون.

أما على الصعيد السياسي؛ فما عرفت مصر في كلّ تاريخها الحديث سياسة أفشل من حقبة مبارك، فهو الذي تولّى قيادة العرب إلى حتفهم، وبينما جعل يلوك بالليل والنهار دعاوى السلام المزعوم مع إسرائيل، طفق يمارس السياسات العدائيّة ضدّ شعوب شقيقة في العراق والسودان.. لذلك علينا أن نؤكد اليوم – كما أكدنا في مناسبات سابقة – إن تحرير القدس لن يتم إلا عبر تحرير القاهرة، وإن تحرير القاهرة من العلمانية والردة والعمالة؛ لهو البوابة الحقيقية لتحرير القدس.

ونظرا لتبني الجماعة الإسلامية أطروحات صدامية مع نظام مبارك، واعتماد هذه الأطروحات كقضايا محورية يجتمع حولها المؤيدون في ظل الواقع الصعب والطاحن، فقد انعكس هذا على توتر علاقاتها بالجماعات الإسلامية الاخرى التي تتبنى الإصلاح التدريجي مثل جماعة الإخوان المسلمين، أو بعض التيارات السلفية التي تركز على صلاح الفرد وتربيته وتتجنب تناول

القضايا الساخنة، ولم تسلم علاقة الجماعة بالمجموعات الجهادية هي الأخرى من بعض المناوشات حول مناهج التغيير ووسائله.

وقد اهتمت الجماعة بقضايا الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون أن تمتلك تصورات محددة لإسقاط النظام أو إقامة دولة. ودخلت في صراع عنيف مع نظام مبارك على أرضية ثأرية تغيب عنه الرؤية الاستراتيجية، فكان عناصر الجماعة يمارسون نشاطهم الدعوي العلني في مناطق تواجدهم في ظل اشتعال المواجهات بالقرب منهم. فبينما كانت مدينة ديروط تشتعل، استمر العمل الدعوي العلني في بقية مراكز محافظة أسيوط. مما مكن الأجهزة الأمنية من تركيز جهودها على المناطق الأكثر خطورة، وسهل عليها تصفية مجموعات الجماعة بشكل تدريجي. وأثناء اشتعال الصراع مع نظام مبارك، تفرقت قيادات الجماعة عبر مستويات ثلاثة : داخل السجون، وخارج السجون داخل مصر، وخارج مصر، مما صعب التواصل بينهم وتنسيق المواقف ودراسة الأحداث، إلى أن فرضت القيادة التاريخية داخل السجن رؤيتها عبر تبنيها لمبادرة وقف العنف، التي تطورت لدى بعض القادة إلى اعتبار السادات شهيدا ومبارك وليا للأمر.

****

●ويوضح واحد من الناس فى مصر، العلاقة بالتيارات السلفية والمجموعات الجهادية فيقول:

وجهت الجماعة انتقادات مبطنة للتيارات السلفية التي تقصر مفهوم التدين على قضايا لا تزعج النظام الحاكم، فقالت في "ميثاق العمل الإسلامي" أثناء حديثها عن الإسلام "فهذا يراه عبادات وشعائر، ويرفض أن يخرج بدعوته خارج نطاق الصلوات والأذكار، وكأن الجهاد والحسبة والحكم بشرعة الإسلام قد نسخها ناسخ. وآخر لا يحدثك إلا عن تنقية الاعتقاد من الشعوذات والخزعبلات؛ ويكثر من الجدل والمناظرات، بينما يغض الطرف عن السلاطين العلمانيين المبدلين لشرع الله الخارجين عن ملة الإسلام. وثالث يرى الإسلام تعلما وحفظا ومدارسة، أما الدعوة والحسبة والجهاد فحاشاه وكلا. ورابع يدعو الناس للسنن الظاهرة، ولهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم في المأكل والمشرب واللباس والنكاح، أما هديه صلى الله عليه وسلم في الجهاد والقتال والحكم والقضاء، فإن بينه وبينهم بعد المشرقين...إننا نعلم من دين الله تعالى كما علمنا علماء أمتنا؛ أن الجهاد قد يستحيل في وقت لعدم الاستطاعة، فيسقط وجوبه في هذا الحين، ولكن يجب الإعداد والاستعداد، حتى إذا وصلنا لحد الاستطاعة قمنا بالجهاد الواجب."

أما المجموعات الجهادية التي تبنت نمط العمل السري واختارت الانقلابات العسكرية كوسيلة للتغيير، فقد نالت نصيبها من انتقادات الجماعة التي قالت في ميثاق العمل الإسلامي "وخامس يعد العدة ويجمع السلاح ويرفع عقيرته؛ الجهاد.. الجهاد، وقد نسي أن يربي الرجال الذين يصلحون لحمل السلاح والذين سيقودون بعد ذلك البلاد والعباد... إنه لا يكفينا أن نتحول جميعا إلى كتيبة مسلحة تشهر السلاح في كل موطن، ولا تعرف كيف تدعو الناس وكيف تربيهم على هذا الدين، لا تعرف متى ترفق ومتى تصفح، لا تعرف إلا السيف ، غافلة أو متغافلة عن أن هناك من تكفيه كلمة زجر ولا تصح معه ضربة سيف".
كما وُجدت خلافات شرعية حول مشروعية ولاية الضرير ومسألة العذر بالجهل ورغم تقارب قيادات الجماعة الإسلامية بالخارج مع جماعة الجهاد خلال حقبة التسعينات، إلا أن محاولات الاندماج بينهما لم تكلل بالنجاح. ويرجع د. الظواهري أسباب ذلك "إلى إصرار قيادات الجماعة الإسلامية أن يكون لأعضاء مجلس الشورى المحبوسين بالداخل الرأي الأول والأخير في الأمور.

****

وديع الهجين

****

حذرنى الأمير من تحريات رجال المباحث بعد أن بدأوا يحومون حولى أنا وبعض الزملاء النشطين. نصحنى بالابتعاد عن النشاط العسكرى لفترة يحددها هو بمعرفته ، لكن الذى أسعدنى بل وجعلنى أطير من الفرح، أنه حررنى من بيع السواك وأوجد لى وظيفة محترمة لم أكن أحلم بها. عيننى كيمائيا فى احدى شركات الأدوية التى تسيطر عليها الجماعة براتب لايحلم به شاب فى عمرى.

أحصيت ما ادخرته من أموال الجماعة التى كنت أتقاضاها عقب كل عملية فدائية ، ولم أكن أعرف كيف أنفقها. وجدتها عدة آلاف من الدولارات والجنيهات. أخفيتها عن أبى حتى لا يسألنى عن مصدرها. الخطوة الأمنية الأولى التى اتبعتها حرصا على حياتى هى حلاقة ذقنى ومعاودة ارتداء الزى الافرنجى العادى الذى يرتديه الكفار عملا بمبدأ التقية.

فى تلك الآونة تضاعف نشاط النقيب حسام فى البحث عن أفراد الجماعة فى كل مكان طالته يده.بدأ حملة واسعة للقبض عليهم بتهمة الاشتباه. أطلق على غرفة الاجتماعات بالقسم الذى يرأسه لقب "الشهيد صقر الاسكندرانى". علق لافتة أنيقة على مدخل الغرفة تحمل اسم صديقى الراحل وعدوى وعدو جماعتى.

تعمدت أن يرانى حسام وأن ترانى راوية بطريقة غير مباشرة فى مظهرى الجديد بعد أن طردنى كل منهما من مكتبه. كما تعمدت أن أتجول كثيرا فى منطقتى السكنية حتى يألف الجميع لباسى الجديد دون دهشة أو تعجب. غير أنى سمعت صاحب المقهى القديم بشارعنا يردد مرة بصوت مسموع حين مررت أمامه:

- اييييه..الهادى يهدى

ثم مرة أخرى بنبرات أكثر خبثا من سابقتها:

- سبحان مغير الأحوال ولا يتغير

هل كان يشك فى أم يسخر منى أم يتعجب بحق. الله يعلم. المهم أننى أعميت عنى عيون رجال الطاغوت الأغبياء فلم يعودوا يهتمون بشأنى.

بقى أن أستمتع بهذه الأموال التى أصبحت تفيض عن احتياجاتى كأعزب غير مسؤول عن أسرة. شعرت بفراغ شديد بعد ابتعادى عن رفاق السلاح والجهاد.

كثيرا ما كنت أرغب فى أن أغيب عن الوعى لفترات أرتاح فيها من عذاب جديد لم أكن أعانى منه قبلا. أصبح يراودنى شعور بالذنب من حين لآخر حين أتذكر الجنود والضباط الذين قتلتهم أنا وزملائى وبصفة خاصة صقر. كلما راودنى هذا الشعور يصيبنى ارتباك نفسى يجعلنى أعيش فى جحيم. رغم أن ولائى للجماعة واقتناعى بمبادئها أقوى من أى اعتبار آخر ، الا أن هذا الشعور لم يعد يفارقنى الا قليلا. لم يكن أمامى كى أريح اعصابى الا الخمر أو الحشيش حتى أستطيع أن أحظى بغيبوبة ولو أنى أعرف أنها مؤقتة.

خشيت أن أذهب الى وحيد حتى لا أتعرض لإغراء الجنس من جديد، خاصة وأن سناء عندما ترانى فى مظهرى الجديد سوف ترحب بجسدى كل الترحيب. كما خشيت أن تغرينى الخمر فأعود اليها وأنا أعلم أنها حرام. لم يبق الا الحشيش ، وليس هناك فى القرآن ولا فى السنة ما يحرمه. عاودت البحث عن مرشدى بكل السبل فلم أعثر عليه فى أى سجن من سجون المدينة ، أو قسم من أقسامها الشرطية. حتى المستشفيات بحثت فيها عنه فلم أجده ، مثلما لم أجد تفسيرا واضحا لاختفائه.

رشوت مندوبه الذى ظل يجلب الحشيش لوحيد منذ اختفاء مرشدى. قال لى:

- مرشدى الآن فى رعاية الأمير ، وأنا تحت أمرك حين تطلب المعلوم
- أى أمير؟
- لا أعرف. هكذا يسمونه وينادونه

- ولماذا يختفى مرشدى عند الأمير؟
- لأن عباقرة الداخلية يظنون أنه يعمل مع الجماعة
- مرشدى..تاجر المخدرات..يعمل مع الجماعة؟!
- هكذا يظنون ولذلك هاجموه وقبضوا عليه عدة مرات وضربوه ضربا مبرحا، لكنهم لم يجدوا دليلا ضده فتركوه يمارس الدجل تحت سمعهم وبصرهم
- لكن هذا المكان مغلق
- فتحه لعدة أيام فقط ثم أغلقه لا أعرف لماذا
- وأين ذهب بعد ذلك؟
- اختفى تماما.

لم أكن أجرؤ أن أسأل الأمير عنه رغم أنه صانع فرصة التقائى به ، وصاحب الفضل على بأن أصبحت من رعايا الأمير المخلصين.

فى ذروة شعورى بالقهر والظلم وخيبة الأمل ، رأف مرشدى بحالى حين قال لى:

- أنا أعرف من ينتشلك من هذا الغم
- الحقنى أبوس يدك
- هو الأمير ولا احد غيره
- أى أمير؟
- ستعرفه حين أسلمك له. بعد ذلك ينتهى دورى ولا تسأل عنى

اذن فمرشدى يعمل مع الأمير فى الخفاء ويرسل له المعذبين من كارهى وطنهم ليؤهلهم حتى يندمجوا فى الجماعة. بذلك لايكون عندى أكثر من احتمالين أولهما أن مرشدى يتقاضى من الأمير أجرا نظير خدماته وتعاونه مع الجماعة دون أن يكون له شأن بها ، والثانى أن يكون ضليعا معهم ، بل وربما يكون أحد عناصرهم الخطيرة المتخفية فى الدجل والمخدرات. قال لى جبريل بلطجى المنطقة:

- أنقذنى من صديقك النقيب حسام يا هندزة
- هل قبض عليك مع الجماعات؟
- لا ، لكنه لا يكف عن مراقبتى ومتابعتى بأذنابه
- لاتقلق يا جبريل فيومه قريب

ربما تسرعت فى إجابتى الأخيرة لتعارضها مع الاحترازات الأمنية للجماعة التى لاتعلن مقدما عن أسماء ضحاياها القادمين ، خاصة وأنها وضعت حسام فى خططها القادمة ضمن المطلوب تصفيتهم انتقاما لما يقوم به من اجراءات تعسفية ضد أفراد الجماعة وكل من يشتبه فى انتمائهم اليها ، ولما تقوم به شقيقته بنشر مايسىء الى الجماعة فى الجرائد ووسائل الاعلام الأخرى بطريقة هجومية مستفزة وكلها أكاذيب.

كان الأمير يبحث عن فرد من المنطقة لاعلاقة له بالجماعة ليستعين به فى خطة القضاء على حسام دون إثارة شبهات حول أحد من أفراد الجماعة. قلت للأمير:

- عندى هذا الفرد
- هل يعرف حسام؟
- يعرفه ويتمنى الانتقام منه أكثر منا
- احضره لى ، ولكن كن بعيدا فى هذه المرحلة كما اتفقنا

****

لم أكن أعلم أن عملى الجديد بشركة الأدوية ليس عملا طبيعيا يمارسه أى كيمائى تخرج فى كلية العلوم. كلفونى بعمل محدد لإعداد المتفجرات، يتم فى سرية تامة وبلا معاونين. يتم ذلك العمل فى قسم منعزل بعيدا عن كل أقسام الشركة. حددوا لى وقتا معينا لم يتجاوز ساعات ثلاث بصفة يومية. بعد الانتهاء من عملى يحق لى الانصراف من الشركة دون خصم جنيه واحد من راتبى الشهرى.

بـدأت أشـعر بـالفراغ. أصـبح يـومى طـويلا. لاعمـل يملـؤه ولا جهـاد ولا هوايـة تشـغله وتشغلنى. الجديد فى الأمر هـو وفـرة المـال فـوق الاحتيـاج. أصـبحت أنفـس بالحشـيش عمـا يعتمل فى صدرى من مشاعر متضاربة بالسعادة والقلق والفراغ والعمل والرضا عن الـنفس والشعور بالذنب. صرت أدخنه بالليل والنهار حتى شاءت المصادفة أن ألتقى بألطاف.

أرملة شابة. جمالها فتان. جسدها ناعم التقاسيم والانحنـاءات والإيحـاءات. أنـا الآن قـادر على إكمال نصف دينى دون اللجوء الى أبى أسأله العون فيقول لى:

- يابنى أنا يا مولاى كما خلقتنى

أنا الآن قادر على أن أتزوج من ست ستك يا نبيلة. كما أننى قادر على حرمانك يا ألطاف مـن عريسك الشاب الذى تتباهين بوضع ذراعك فى ذراعـه أمـام النـاس. طلقـة واحـدة فـى قلبـه ويلحـق بزوجـك السـابق. لـم أكـن أتصـور أنـك ستتخلصـين مـن ذكـرى صـقر بهـذه السـرعة وتمحيها من ذاكرتك الى الأبد. آه ياذالة النساء!!.. كنت أنا الأولى بـك منـه يـا امـرأة ، لكنـه عبث الأقدار.

أصـبح كـل مـا يشـغل فكـرى ويرهـق نفسـى اليـوم فـى كـوم ، وثـأرى الشخصـى مـن وليـد الحلوانى فى كوم آخر ، فقد شهدت بعينى عمى وهو يقبل امى خلسـة ، بينمـا هـى قابعـة فـى حضنه بسعادة حقيرة مسروقة!

****

ما أن خرج النقيب حسام من باب القسم ، حتـى تلقـى عـدة طلقـات فـى صـدره مـن دراجـة نارية مسرعة يقودها جبريل ومن خلفه مسلح ملثم. سقط حسـام قتـيلا وهـرب جبريـل وفـرد الجماعة المجاهد الشهم. أصبح جبريل خطرا علينا، فلم يعد أمامه خيـار غيـر أن ينضـم الينـا فنستغل خبراته الاجرامية لصالح الجماعة. أما لو أراد العودة الى البلطجـة وفـرض الاتـاوات على تجار الحى بعيدا عن حمايتنا فهو حر.

بكى الرجال على حسام وصرخت النساء وولولت ، وتجمـع أهل الحـى حـول جثتـه ينعـون رجولته التى كانوا يتندرون بها. بعد قليل حضرت راوية. مددت يدى اليها معزيا لكنها تركتها معلقة رافضة مصافحتى، بـل إنهـا نظـرت فـى وجهـى ثـم بصـقت علـى الأرض وهـى تصـيح بعصبية شديدة:

- كلاب. مجرمين. أنذال.جبناء

تعجبت من سلوكها تجاهى وكأنها تعلم علم اليقين بانتمـائى الـى الجماعـة التـى قتلـت أخاهـا ومن قبله ابن خالتها.

والآن مـا رأيـك يـا دكتـور وليـد؟..كيف تريـد أن يكـون انتقـامى مـن غـدرك وخيانتـك أنـت والأفعى التى تبيت كل يوم فى حضنك؟.. ما رأيك وقد رأيت أمى بعينى فى حضن عمى؟!!..

****

راويه هيكل

****

اغتال المجرمون توأم روحى. ليتهم قتلونى بدلا منه، وليتهم قتلونى من قبل بدلا من صقر. كأنهم يتعمدون سحقى وتعذيبى وتدمير حياتى. أية فجيعة يا حبيبى. أى غدر أيها القساة الجبابرة. أهذا الجسد الرمادى البارد الصامت الراقد أمامى على خشبة الموت ، هو جسدك يا حبيبى يابن أبى وأمى؟.. أعدك أننى سوف أجعل من دمك المسفوك غدرا وجبنا وخسة ، مدادا لقلمى الذى لن يتوقف يوما عن فضح أكاذيبهم التى يضللون بها الناس ثم يقتلون من يتصدى لهم. هاهى مقالاتى تتوالى ولن أبالى. أعلم أن الدور قادم الىّ فى يوم قرب أو بعد. أنا لا أخافهم ولا أخاف رصاصهم الجبان الذى يهرب من يطلقه لأنه لا يملك شجاعة المواجهة ورجولتها. سوف أدل أبناء وطنى على كيفية مواجهتهم والقضاء عليهم.

اليوم أنا راوية أخرى غير راوية القديمة العبثية اللامبالية. اليوم قد أصبحت مثل صقر وحسام. أصبح لى هدف ومبدأ ورسالة أدافع عنهم حتى الموت.

سوف أكتب فى مقالاتى القادمة:

" الارهاب لا يواجه أمنيا فقط. يجب أن نواجهه فكريا وذلك هو الأصعب والأخطر. نحن فى مواجهة الارهابى الانتحارى الذى تدفعه عقيدته الارهابية الى تفجير نفسه ، يجب – على الأقل – أن نحول دون انتشار عقيدته الضالة المضلة بين الشباب، ان لم نستطع إقناعه بنبذها والتخلى عنها. لكن هناك عدة شروط ينبغى توافرها كى تنجح تلك المواجهة الفكرية وهى أن تتم من خلال منظومة تعليمية تتسم بالحداثة والمعاصرة ، وأن تكون قائمة على أهداف بعيدة عن التلقين والحفظ على عكس ما هو الحال فى مناهجنا التعليمية الحالية.

يجب أن تؤسس المواجهة على إعمال الفكر وتربية العقل الناقد لا الناقل، والتدريب على استخدام واستيعاب مناهج البحث والثقة فى نتائجها. هذه المناهج يجب أن تكون داعمة لفكرة المواطنة، وناشرة لقيم وتقاليد الدولة المدنية. وهذه الأهداف التعليمية لا يمكن أن تتحقق الا من خلال نظام حكم يؤمن ايمانا عميقا بتحقيق الديموقراطية وتداول السلطة ، ولا يضيق صدرا بالمعارضة وذلك عبر مناخ من حرية الرأى دون خوف من قمع أو من قيود عليها ، وأن يكون ذلك كله مؤسسا على احترام الدستور وعدم القفز عليه أو الالتفاف من حوله عندما يريد النظام تحقيق مكاسب غير دستورية أو أهداف غير شرعية تصب فى مصلحته."

****

كان من الصعب بل من المستحيل أن أراجع ألطاف فى قرارها المفاجىء بالزواج من علاء الذى أراه لأول مرة. كان هناك تساؤل ملح يكاد ينطق به لسانى:

- وصقـــــر؟!!!...

ويبدو أنها قرأت السؤال فى عينى وعلى علامات الدهشة المرسومة على وجهى حين التقينا ، فانتظرت حتى ابتعد عنا علاء ثم قالت:

- أعرف السؤال الذى يدور بخاطرم الآن
- ماهو؟..دلينى بفراستك ياصديقتى
- وصقر؟!
- نعم هو السؤال بعينه
- كنت واثقة من ذلك
- المهم ، ما إجابتك؟
- أخشى أن تكون إجابتى صادمة لك فتغضبين منى
- بل أرجوك أن تصارحينى ، وثقى أننى سأحترم قرارك ، فليس من حقى أن أدس أنفى فى شئون حياتك الخاصة.

****

وسوف أكتب:

" من المؤكد أيضا أنه لن يمكن نجاح المواجهة الفكرية مع الارهاب مالم يكن النظام الحاكم مؤمنا ايمانا عميقا بمبدأ المواطنة الذى هو بمثابة عقد موقع من طرفين هما الوطن والمواطن. هذا العقد لايعطى حقوقا للمواطن بناء على دينه أو عرقه أو جنسه، كما لايكلفه بواجبات مبنية على نفس العناصر، فالكل سواسية أمام الدولة والقانون، وتكون الدولة محايدة تماما لأبنائها فى هذا الخصوص.

هناك أمر آخر شديد الأهمية هو انه لامفر من فصل الدين عن السياسة بحيث تكون الدولة مدنية تماما وأن تكون حكما عدلا بين أصحاب العقائد المختلفة، وأن تقوم بحماية حرية ممارسة الشعائر لأتباع كل عقيدة ، فى ظل منظومة حداثية تعمل على كل المحاور والمستويات فى آن واحد".

****

ليتنى ما طلبت منها مصارحتى بما فى نفسها. ليت الأمر ظل مكتوما فى صدرها ، والحقيقة خافية عن سمعى وبصرى. كل كلمة نطقتها أصابتنى بمزيج من الدهشة والحيرة وعدم الرغبة فى التصديق ، فضلا عن شعورى برغبة قوية فى التقيؤ لتقززى مما سمعت. قالت فى البداية:

- **أريد منك وعدا صريحا**
- **بأى شىء؟**
- **ألا تخسرينى كصديقة عمر**
- **أعدك بأن هذا لن يكون مهما قلت**
- **هل تقسمين على ذلك؟**
- **لا أقسم.وأعدك بصدق ألا أضيع صداقتنا**

****

وسوف أكتب:

" ينبغى أن نتمتع جميعا بالمزيد من الصبر أثناء ممارسة الوسائل المذكورة لتحقيق النجاح فى مواجهة الارهاب ، فالمتوقع ألا يتم ذلك بين يوم وليلة، بل انه سوف يستغرق بالتأكيد وقتا طويلا يحسن أن نبدأه من الآن ، والآن فورا.

أخيرا فإن الارهاب لن ينتظر أحدا حتى يستعد لمواجهته بعد أن يحتمى منه فى خندقه ،لذلك فلا بد من الشروع فورا فى اتخاذ حزمة من الاجراءات العاجلة التى سوف يكون فى تفعيلها دعما قويا للمواجهة ، كما أنها سوف تكون تمهيدا جيدا من أجل الاعداد لبلوغ النجاح على المدى البعيد والذى لن يتحقق الا فى ظل دولة مدنية قوية الدعائم تقوم على المؤسسات".

****

قالت لى ان صقرا أحبها فقط كأم لأولاده ، لكنه لم يحب سواى أنا. ذهلت لقولها .واصلت متجاهلة انفعالى الفاضح:

- **كان يمارس الحب معى فى آلية كما لو كان يسلك ماسورة بندقية بزيته الساخن. لا أنكر أنه كان شهما كريما سخيا شديد الأدب. لكنه كان يفقد روحه حين يتصل بى. روحه كانت إما معك أحيانا وإما فى معسكرات القتال والضباط والجنود والمدافع والدبابات، فى معظم الأحيان. حاولت أن أحيى فيه الانسان الطبيعى الطبيعى الذى يحب ويكره وينفعل ويخطىء ويصيب. لكنه كان عسكريا جلفا كما تعنى الكلمة. لايعرف الا اعطاء الأوامر وانتظار تنفيذها وإلا فالعقاب الفورى قسوة وخشونة وجفاء. هذا هو صقر الحقيقى الذى لم يعرفه أحد على حقيقته مثلما عرفته. نفانى من زمنه وألقى بى فى فراغ مخيف. رغم ذلك صبرت عليه الى أن جاءت مناسبة ظننت أننى سأمضى فيها معه ليلة من ليالى**

العمر التى لا تنسى. ذبت فى أحضانه حتى جاءت لحظة الحسم. فوجئت به يهمس لى بحرقة:

- أحبك يا راويه !

****

وسوف أكتب :

"قبل أن أعرض اقتراحاتى أؤكد على أنها تقبل الحوار والجدل، فهى نوع من العصف الذهنى ، واعذرونى أيها القراء الكرام اذا وجدتم فى اقتراحاتى بعض الشطط، فهى اجراءات تبدو وكانها جراحة عاجلة فى جسد الوطن لإنقاذه من الدمار. ولأن الأوضاع الدامية اليوم للوطن وأبنائه تفرض علينا الحديث الكاشف الصادم دون مواءمات أو حساسية أو خوف، لأنها ستكون من أجل حقن دماء أبناء مصر ومن أجل حماية أمنها القومى.. احذروا يا بنى وطنى. لقد بلغت القلوب الحناجر وأوشك الارهاب الأسود أن يحرق الوطن."

****

كان واضحا أنها هى التى تريد أن تنهى صداقتنا بعد أن أطلقت بمهارة عبارتها الأخيرة ، وأن محاولتها أن تحصل منى على عهد بألا تتسبب صراحتها فى فراقنا، كانت مجرد تمثيلية خبيثة وإن كانت متقنة.

لكن ما هذا يا صقر؟.ان كنت تحبنى الى هذه الدرجة فلماذا تركتنى وذهبت الى غيرى ؟..مالكم أيها الرجال؟..ماهذا الغباء الذى يفرضه عليكم احساسكم الذكورى البغيض بالقوة والسيطرة والاستبداد. منذ البداية كنت مندهشة لارتباطك بألطاف وهى الشخصية الباهتة القليلة فى ثقافتها قلتها فى أنوثتها. هناك فرق بين الجمال والأنوثة. هى أكثر جمالا منى ، لكنى أكثر أنوثة منها. كنت واثقة أننى سأكون امرأتك المحبة الوفية الى الأبد، لكنك فاجأتنى مثلما فاجأتنى هى الأخرى بقولها هذا.

****

وقد كتبت بالفعل:

"اننى أطرح بعض الاجراءات العاجلة الواجب اتخاذها فورا ودون أى تأجيل لأى سبب كان ، وأضعها امام المجلس الأعلى الذى أنشأه رئيس الدولة لتجديد الخطاب الدينى وتحديثه. أول هذه الاجراءات هى إلغاء وتفكيك كافة الأحزاب القائمة على مرجعية دينية فورا حسب نص الدستور. وإنى أهيب بالمجلس الموقر أن يتولى بإتقان تنقية التراث من الخرافات والخزعبلات والاسرائيليات والأحاديث المدسوسة ، ومراجعة وتنقية جميع المناهج التى تدرس فى الأزهر وفى المعاهد الدينية بمراحلها التعليمية المختلفة ، ولامانع ان يشارك اللجنة بعضا من علماء الأزهر المشهود لهم بالاستنارة والوسطية المعتدلة.

وفى هذا الصدد ينبغى مراجعة القانون الخاص بإنشاء جامعة الأزهر ، وتعديله بحيث تنضم كلياته العلمية والنظرية الى الجامعة العادية، ولايحتفظ الأزهر الا بالكلية التى تقوم بتدريس العلوم الشرعية الدينية فقط ، على أن يتفرغ الأزهر لكونه مؤسسة دعوية ليست لها سلطة دينية ، وأن تكون المرجعية فى إصدار القوانين الى المؤسسات القانونية كالمحكمة الدستورية ، وليست للأزهر."

****

من كان يصدق أن الثلاثى المرح الذى كانوا يتندرون بحلاوته وتناغمه قد تبدد اليوم كلية. أنا أعرف جيدا أنها دنيا الأغيار وأنه لا ثبات لشيء فيها ، وإنما هو التغير أو الزوال. لم يعد هناك صقر ووديع وراوية. أصبح الثلاثى واحدة فقط. راوية هيكل. حتى أخوها حسام حرمت منه بفعل قوى الظلام والتطرف. استشهد صقر ثم تحول وديع الى كائن آخر غير وديع الانسان الرقيق الذى عاش معنا.

هأنا قد تجاوزت الثلاثين دون أن يظهر فى حياتى رجل يعيد تنظيمها لى ، ويمسك بمفاتيح أقفالها العديدة. أصبحت أعانى من فراغ الوحدة الموحشة بلا أحباء ولا أصدقاء. فراشى صقيع وصمتى دموع وحياتى سراب مقهور بأنين الزمن ، ويقول لها على الفراش:
- أحبك يا راوية!!

****

"ولا يغضب أحدكم منى لو طالبت بأن يتم العكوف على تسجيلات مولانا الشيخ الجليل محمد متولى الشعراوى من أجل تنقيتها من بعض مبالغاته الوهابية التى صرح بها بحسن نية ، رغم مافيه من فكر متشدد ، خاصة فيما يتعلق باعتباره النصارى مشركين ،فمثل تلك المقولات تدمر الوحدة الوطنية وتفرق بين المواطنين على أساس دينى. وعلى ذكر النصارى فإنى أطالب بإلغاء خانة الديانة من الأوراق الرسمية كافة لكل المواطنين، حيث لا تفرق المواطنة الحقيقية بين مسلم ونصرانى ويهودى مادام مصريا.
لقد كان اسلام البحيرى أول ضحايا تجديد الخطاب الدينى ، إذ كان يطالب بنفس ما أطالب به الآن فسجنوه ، لكن القضاء المدنى أنصفه أخيرا وعاد ليواصل كفاحه من جديد. لذلك فإنى أطالب أيضا بإلغاء قانون ازدراء الأديان الذى ألقى بهذا الرجل وأمثاله من الوطنيين المخلصين فى غياهب السجون.
وناتى الآن الى أهمية اعادة النظر فى خريطة الزوايا الصغيرة فى المدن والقرى والتى تبث فيها الأفكار المتخلفة ويصدقها العوام. يجب أن تلغى هذه الزوايا ويكتفى بالمساجد الكبيرة فقط وهى كثيرة بحمد الله ، على أن توحد بها خطبة الجمعة حيث يلتزم الإمام بالنص المدون أمامه ويعاقب لو خرج عنه. وبديهى أن يتولى صياغة هذه الخطبة من هم جديرون بذلك من أهل الفكر الدينى المستنير المتطور."

****

البطل الشهيد كان عندها مخلوقا مملا ، لايجيد الحديث الا عن الارهاب ومقاومته وذكر بطولات زملائه وجنوده فى المعارك التى خاضوها. كانت تنكر عليه اعتقاده بأنه هو الوطن والوطن هو ، وأن حياته لا قيمة لها مالم يدفعها ضريبة لبقاء هذا الوطن. لطالما استنكرت رضاه وقناعته بالراتب الضئيل الذى كان يتقاضاه من الجيش ولا يكاد يكفى نفقات بيته واولاده. هى التى صرحت لى بذلك دون حياء. انتهينا.. لقد ذهب يا ألطاف. اذهبى أنت الأخرى مع ألف سلامة فلم أعد أريد أن أراك ، وهنيئا لك بحياتك الجديدة بعيدا عن حياتى.

****

" يمنع ارتداء النقاب فى الأماكن العامة والجامعات والشركات والمصانع والمدارس. يمنع استخدام مكبرات الصوت من المساجد أو فى الفضاء العام. تغلق القنوات الفضائية المسماة بالقنوات الدينية والتى يبث معظمها خطابا تحريضيا تكفيريا متخلفا. تقتصر اختصاصات هيئة كبار العلماء على الدعوة فقط ، ولايكون لها أى سلطة دينية او رأيا تشريعيا أو مرجعية دينية فى سن القوانين والتشريعات المدنية.
ألا هل بلغت؟.. اللهم فاشهد".

****

صقر الاسكندرانى

****

كثيرا ما سألت نفسى هل أخطأت حين تزوجت ممن تحبنى لا ممن أحببت، لكنى لم أتوصل الى اجابة ، فالقسمة والنصيب من فعل الأقدار ولا تفسير لهما غير ذلك.

وصل الى عالمنا العلوى خبر استشهاد النقيب حسام ابن خالتى. بعد قليل لحقت بنا روحه الطاهرة. كنا مجموعة من الشهداء ملتفين حوله وهو يحكى لنا عن واقعة الغدر والجبن التى أودت بحياته. هذه الجماعات تريد إما أن تحكمنا وإما أن تقتلنا وتروع أهالينا بالارهاب ، مرددين بكل صفاقة أن الاسلام هو الحل. خطابهم كله وعظ لا وعى. نقل لا عقل.زيف لاحقيقة ، وتكفير لاتفكير. رحنا نتدارس معا أحوال هؤلاء القوم وأفكارهم لعلنا نصل الى سبيل يهتدون من خلاله الى الحق ويرتدعون عما يفعلون.

****

يتشدق فقهاء السلطان وخدامهم من الكهان المنافقين بالقول – تبريرا للحكم الدينى – ان الاسلام قادر على ضمان حقوق الناس ، وهذا حق يراد به باطل ، فالاسلام دينا ونصا يؤكد بالفعل على ذلك ، لكن الذى يضمن هذه الحقوق ليس الاسلام نفسه وانما هم المسلمون. ورغم وجود هذه النصوص والقواعد والأصول منذ مئات السنين الا أن المسلمين فى معظم أرجاء الأرض لم يتحقق لهم عدل ولا إنصاف ، وغدت أممهم أكثر الأمم فى العالم انحطاطا و تخلفا عن ركب الحضارة والتقدم.

قلنا فى اجتماعنا العلوى إن وسيلة الاحتيال المثالية القديمة قدم الزمان نفسه هى تسخير الدين لطاعة الآلهة والتخويف من الجحيم. لذلك كان إضفاء صفة الهية مقدسة على الفرعون داعما أساسيا لهذا الاحتيال. فى بابل كان الشعب لا يعتبر ملكهم حاكما شرعيا الا اذا خلع عليه الكهنة السلطة الملكية.وفى الاحتفالات كان الملك يرتدى زى الكهنة لاضفاء الشرعية الدينية عليه بحيث يصبح الخروج عليه كفرا يستوجب الموت. تماما مثلما ادعى خلفاء المسلمين الحق الالهى فى الحكم بحيث يصبح عصيانهم عصيانا لله ورسوله متذرعين بالآية القائلة:"وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم" .

قلت لرفقائى فى العالم العلوى أن ألطاف أنكرتنى مرتين وكنت أحسب أن حبها للوطن لايقل عن حبى له. رفقائى الشهداء متنوعو المهن والثقافة والأفكار. منهم أساتذة فى التاريخ ومنهم ضباط كبار وجنود ومنهم كيمائيون ومهندسون . أقربهم الى قلبى رجل كان يعشق حب الحياة وحياة الحب. لما علم هذا المحب بحالى مع ألطاف قال لى:

- لاتحزن يارفيقى فهناك من لاتزال تحبك
- أظنك تقصد راوية
- نعم وقد اكدت وفاءها لك بما سطرته عنك فى روايتها الأخيرة
- أى رواية؟!
- رواية بعنوان"هذيان"
- وكيف لم أعلم بها؟
- لأنك منشغل عن حاضرك بماضيك
- ذلك لأنها مازالت فى العالم السفلى
- لكن روحها معك هنا وأنت لا تهتم أيها الظالم

وقال شهيد من رجال الدين المعتدلين الذى قتل ضمن مدنيين فى تفجير غاشم وسط المدينة ان جوهر الجهاد كما شرعه الله هو التصدى للشقاء الانسانى ، واستفراغ الجهد بكل السبل لتحقيق الخير والعدل والصلاح للناس. لكن كان لابد لفقهاء السلطان من ابتداع فقه يجعل من فتح البلاد جهادا فى سبيل الله، ومن غزو البلاد واستعمارها نشرا للاسلام وتبليغا لدين الله ، فى حين أن ما حدث عبر التاريخ هو الحفاظ على أنهار الغنائم والأسلاب تتدفق بغزارة على خزائن

السلطان، مع إقصاء المعارضين خارج البلاد اتقاء لشرهم، أو قتلهم بحجة الزندقة والكفر وعصيان الخليفة الممثل لله فى الأرض. لذلك انحرفوا بمعانى الآيات التى طالب الله فيها المسلمين الأوائل بقتال المشركين الذين أخرجوهم من ديارهم فقط من قبل الهجرة. لقد فسروا هذه الآيات على أنها أوامر مستديمة وتكليف دينى أبدى للمسلمين بقتال كل من يخالفهم فى الدين فى كل زمان ومكان ، وهو تفسير كارثى بكل المقاييس.

فى هذا العالم النقى الطاهر تتكشف كل الحقائق وتتساقط كل الحجب ، فهاهو وديع ماثل أمام عينى وهو جالس مع أميره وسط عصابة الارهابيين يخططون للمزيد من القتل والتدمير وإزهاق الأرواح البريئة. يقول لهم الأمير طليق اللسان شديد الخبث قوى الحجة:

- ان الله قد فرض الاسلام على كل الدنيا ، ولذلك فرض علينا الجهاد

لكنه ينكر قوله تعالى:"فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر"، وقوله:" ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء".

انى فى دهشة من أمر هذا الشاب الذى كانت رقته مضرب الأمثال ، فقد كان وديعا كاسمه بالفعل. كيف كان يحب الموسيقا والأغانى فأصبح يحب القتل والحرق والتدمير. ترى هل هو صادق بحق فى اعتقاده أم أنه مستفيد من انضمامه لهؤلاء الناس بشكل أو بآخر. لو كان صادقا فلماذا لم يفجر نفسه فى احدى عملياتهم مثلما فعل كثير من زملائه الآخرين؟!. انه لا يلجأ فى عملياته الا الى وسيلة التفجير عن بعد. كان فى صغره يخاف حتى من فراشة لو طارت أمامه، فكيف يقبل أن يفجر نفسه!. انه فى جميع الأحوال متشبث بحياته خائف على عمره. من الغريب أيضا أنه كان يردد دائما القول بأن صلاح الدنيا والحياة عملة ذات وجهين هما عدل الحاكم ووعى المحكوم.

آخر ما كان يخطر ببالى أن يحدث له هذا التحول البغيض، لكنه الانسان ، ولكنها الحياة. الاثنان لاثبات لهما ولا دوام. الكارثة أنه وجماعته يرون أن الحاكم والمحكومين كفار ، وأن تحقيق العدل منوط بهم وحدهم دون غيرهم ، وبالأسلوب الذى لايعرفون له بديلا وهو العنف والقتل والتخريب.

تقوم راوية بعمل بطولى شجاع هو فضحهم وتفنيد مزاعمهم الكاذبة سواء فى مقالاتها الدورية أو فى روايتها الأولى. غير أننى لا أعول كثيرا على اتساع دائرة التنوير لأكبر عدد ممكن من الناس من خلال الجرائد والكتب، فالجرائد لم تعد مقروءة بعد انتشار الانترنت ، أما الروايات فصارت أسعارها خيالية فوق طاقة العامة ، وفوق ذلك كله فمازالت نسبة الأمية فى بلادنا مرتفعة وتعتبر الكتب والجرائد خارج نطاق اهتمامات غالبية الشعب من الكادحين وراء لقمة العيش. لذلك فالفئات التى يمكن أن تتفاعل مع ما تقوله راوية تأثرا أو تأثيرا هى فئات محدودة ولاشك. ورغم أن الجهد الفردى وحده لايكفى الا أن المساهمات الفردية لا يمكن إنكار أهميتها لأنها لابد أن تؤدى فى النهاية الى شعور جمعى. شعبنا مسكين. الأمية والفقر والغلاء يتناوبون على طحنه وإذلاله ، والمشايخ يسلمونه للحكام فريسة مذبوحة مسلوخة جاهزة للأكل.

مت فى عز شبابى وكنت أتمنى أن أعيش حتى الثمانين لأشهد المزيد من أحداث الدنيا وأتفرج عليها ، لكن المولى أدرى بحالى وأرأف به منى ، فلم يشأ أن أعيش حتى أشهد المزيد من أحداث لاتجلب للنفس الا الغم والكرب. أحداث لاتخص وطنى فحسب وإنما تشمل العالم كله شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وتتمركز دائما فى منطقتنا العربية الموبوءة بفساد الحكام وجهل الشعوب.

ظهر فريد زين الدين مرة أخرى فى حياة راوية التى لم يعجبها رجلا غيرى حيا أو ميتا. ما أن صدرت"هذيان" حتى سارع فريد بكتابة مقال نقدى نارى عنها. قال فى مقاله:

" لفت نظرى عنوان الرواية التى يبدو أنها كتبتها من داخل روايتها الحياتية مع الشهيد صقر. كأن الهذيان يعنى لامنطقية الكلام أو تراتبيته باعتبار أن الشهيد أصبح يعيش فى عالم آخر غير عالمنا ، لايعرف أحد كيف يكون الكلام فيه ان كان هناك كلام. وعلى ذلك فإنها أعطت

لنفسها حرية انطلاق كل ما كبت فى لاوعى البطل من مشاعر وأحاسيس وأحداث. هكذا استطاعت عرضها بلا تنسيق روائى منطقى ، تاركة للقارىء أن يجمع الأفكار المبعثرة هنا وهناك من عالم اللاوعى الى عالم العقل والوعى بمعرفته وحسب رغبته ومزاجه ، ممايزيد من استمتاعه بالعمل. ان

راوية تتحدى قوانين الرواية وأعرافها كعمل أدبى له أصوله ومقوماته. هذا ان كانت تقصد عن عمد ما سأشير اليه الآن، أما ان لم تكن تقصد فانها بذلك لاتتحدى تلك القوانين والأعراف وإنما تجهلها ، وهذا ما أستبعده بالطبع. ان الفن الروائى لايقبل المباشرة أو التقرير السردى. ذلك مباح فى كتابة المقال فقط ، أما هنا فلا مفر من أن يصل الكاتب بقارئه الى مايريد بأسلوب التفافى غير مباشر يطلق له حرية التفكير والمشاركة فى إبداع العمل والتوصل الى مضامينه واستيعابها.

ولأنى أميل الى فكرة التحدى – لا الجهل - فلابد أن أقول ان عملها بالصحافة قد ترك أثرا كبيرا على صياغتها شبه التقريرية لأجزاء كثيرة من الرواية ، لكنها كانت تعى ذلك بل وتقصده – وأنا أجزم بذلك – وكأنها تقول لنا ان واقع الحال يقتضى من أى عمل فنى صادق أن يواكب العصر ، وان تكون له قيمة ايجابية فعالة ، لا أن يكون فنا من أجل الفن. هى تدرك جيدا أن الفن إمتاع وتنوير ، وهمها الأول والأخير فى "هذيان" هو تنوير الناس بقوة تقريرية مباشرة لاتخلو منها الرواية الأوروبية المعاصرة بما يتمشى مع مقتضى الحال المعاصر.

هاهى تطرح علينا فى متنها الروائى خطوات محددة للقضاء على الارهاب فى صورة مقال مباشر.. هاهى تنقل لنا بالنص الحرفى أجزاء من خطب ومقالات جمال الدين الأفغانى والشيخ على عبد الرازق وعبد الرحمن الكواكبى..هاهى تذكر لنا النصوص التفصيلية لبعض البيانات العسكرية التى أذاعتها القوات المسلحة المصرية عقب انتهاء العمليات العسكرية فى مواجهة الارهاب.لست أدرى ماذا يمكن أن أقول بشأن هذا التحدى الذى واجهتنا به راوية فى إصرار غير مسبوق من كتاب مصر ، غير أننى أجد نفسى مضطرا لقبوله، بل وللاعجاب به من كاتبة ثورية قتل الارهاب أخاها ومن قبله ابن خالتها وحبيبها، ومازالوا يقتلون المزيد من الأبرياء الذين لاذنب لهم سوى الدفاع عن وطن لايعترف به هؤلاء القتلة إذ لايرون فيه الا حفنة من تراب. وفى كشفها لزيف معتقد الخلافة ورجعيته وتهرئه واستحالة تحقيقه على أرض الواقع ، فإنها ساقت لنا المزيد من الأحداث التاريخية فى عصور الخلفاء غير الراشدين، كما أكدت لنا التطابق التام بينهم فى كل العصور من حيث التحالف الثلاثى الارهابى الذى يخوفون به الناس بادعائهم أنهم ظل الله على الأرض وأن طاعتهم واجب مقدس لأنها من طاعة الله".

التقت راوية بفريد على فنجان جديد من القهوة لمناقشة الرواية والمقال النقدى الذى كتبه. اصطحب فريد معه طفلا صغيرا جميلا فى عينيه شقاوة محببة، ماتت أمه بعد ولادته مباشرة وعاد فريد الى حياة الأعزب من جديد. قال لها:

- واضح أنك تعشقين المباشرة فى كل شىء
- لقد تعمدتها كما ذكرت فى مقالك ، وأشكرك لأنك لم تؤاخذنى عليها
- بل تعمدتيها فى حياتك الخاصة أيضا من قبل
- كيف؟
- حين تقدمت اليك بأسلوب غير مباشر للارتباط بك
- ....
- لكنك تجاهلت طلبى ، لست أعرف حتى الآن ان كان عن عمد كما الحال فى روايتك ، ام انك لم تفهمى مقصدى وقتئذ
- الحق أنى لم انتبه الى مقصدك
- اذن فهى مسئوليتى وقد دفعت ثمنها بسبب حيائى ولجوئى الى الالتفاف بدلا من المباشرة مع انسانة شديدة الوضوح والصراحة مثلك
- ولم لاتكون مسؤوليتى عن عدم فهمك؟

- لنقل انها مسئولية مشتركة ، وعفا الله عما سلف.

وديع الهجين

****

الخيانة جزاؤها القتل. بعيدا عن الاسلام والجماعة والخلافة وكل ما نردده من شعارات آمنا بها أو لم نؤمن.الخائن يقتل حتى لو كان الاسلام حقيقة هو الحل. الخائن يقتل ، عادت الخلافة الاسلامية أو لم تعد، وليد ياحلوانى أنت خائن. خدعتنى مرتين الأولى حين سرقت فتاتى والثانية حين تركتنى أشكو اليك مأساتى وأنت المتسبب فيها. أنا لا أنتقم منك وحدك . أنتقم أيضا من الخائنة التى باعتنى حتى تستبدلك بى لتضمن حياة مرفهة تنعم فيها بالفيلا والعربة والعزبة والعيادة. حينما أقتلك سأحرمها منك ويكفى هذا عقابا لها. لكن من يدرينى أنها لن تأسف كثيرا على فراقك حين ترث أموالك وممتلكاتك لتبحث من بعدك عمن تستبدله بك.كلهن أنانيات ، حتى ألطاف التى كنا نضرب بها المثل بحبها لصقر ، تزوجت بعد وفاته بعدة أشهر.

أخطأت بالكشف عن يسرى المادى لأبى ، ربما لشدة فرحتى وربما لغرض آخر فى نفسى . سألنى من أين جئت بكل هذه الأموال. ادعيت أنها مكافآت ومنح من شركة الأدوية لكنه لم يصدقنى ، اذ كانت مدة خدمتى بهذه الشركة لاتسمح بذلك

سألنى لماذا أرسلت لحيتى وارتديت الجلباب فقلت له اننى قررت الالتزام بدينى فلم يصدقنى. قال لى:

- الالتزام لايعنى أن تكون بهذا المنظر القبيح الذى يتعارض مع علمك وثقافتك ومستواك الاجتماعى ومركز والدك

عندما خلعت الزى الاسلامى وحلقت ذقنى سألنى عن السبب. قلت له:

- اقتنعت بوجهة نظرك أن الجوهر أسمى وأعظم من المظهر
- اصبحت أشك فى صدق كل ما تفعله وتقوله
- لماذا؟
- اسأل نفسك. أنت لم تعد ابنى وديع الذى كنت أعرفه
- أنا الذى أريد أن أسألك عن قيمة المبلغ الذى اقترضته من عمى محسن
- لماذا تريد أن تعرفه؟

أفق يارجل. لقد رأيت جرترود اللعينة بين أحضانه بعد اعتياده السهر فى بيتنا. لم يشعرا بوجودى حين رأيتهما وهما فى حالة وجد وعشق وهيام. هل أفضح سرهما واهتك سترهما لأرى ماذا ستفعل؟..لن يفيد هذا بشىء لأنك فى أغلب الظن لن تفعل شيئا

- لأنى أريد أن ترد اليه دينه
- من أين؟
- من مالى الحلال الذى هو ملك لك بالشرع لأنك أبى
- ياحبيبى انا لست درويشا ولا فقيها اسلاميا. أنا فقط أؤدى الفروض ولا أرتكب المعاصى.. أقول...
- ومن قال غير ذلك يا أبى؟
- لا تقاطعنى. أقول اننى رغم ذلك لست مقتنعا بمصدر أموالك. أنا أسدد دينى على أقساط حسب اتفاقنا

أتسلمه بيدك مسمار جحا أيها الرجل الغافل فتشرّع له التردد على البيت، أم انك لست غافلا وانما تتغافل جبنا وتخاذلا وضعفا؟! أنت غير مقتنع بمصدر أموالى وأنا غير مقتنع بأحقية وليد الحلوانى فى الحياة، أما عمى الجبان فحسابى معه مؤجل. اننى لم أعد أجد مشكلة فى القتل اذ أصبح عندى أمرا سهلا. لم تعد رؤية الدماء تفزعنى ، بل على العكس فإن رؤية الدماء تزيد من ضراوتى وتحولنى الى كائن آخر أكثر قوة ووحشية. يصيبنى سعار رهيب لا أملك سوى

الاستسلام لجنونه وقد فقدت الاحساس بالزمان والمكان والبشر والحياة وأصبحت وحشا كاسرا تصعب مقاومته.

- ألم تلحظ يا أبى كثرة تردد عمى على بيتنا ليلا ونهارا بلا مبرر؟!
- بل لاحظت
- ولماذا لم تلفت نظره؟!
- ولماذا ألفت نظره وهو صاحب فضل علينا. كل ما فى الأمر أنه يعشق الثرثرة

لم أر رجلا فى مثل تخاذلك وسلبيتك. لو لم تكن أبى لأعطيتك محاضرة فى الشهامة والنخوة والرجولة وكيفية الحفاظ على الشرف.

لم أستطع إقناع أبى – دون أن أجرح كرامته – بأن يمنع عمى من كثرة التردد على بيتنا. كل ما استطعت أن أفعله أننى كنت أحول بكل السبل بينه وبين الانفراد بأمى . فعلت ذلك بطرق مباشرة واستفزازية وفجة ، حتى انه لاحظ ذلك مثلما لاحظت هى الأخرى.

كذلك لم أستطع إقناع الأمير- رغم تعاطفه مع قضيتى – بتصفية الحلوانى بنفسى باعتبار ذلك ثأر شخصى لاينبغى أن يأخذ به سواى. حذرنى من ذلك ورشح لى أكثر من زميل من الأخوة على استعداد لذلك، لكنى كنت مصرا على أن أقتله بيدى ، والويل لك ياعمى الجبان.

بدأت أمى فى مغادرة البيت من حين لآخر بعد أن ضيقت عليهما الخناق وأصبحت معاملتى لهما فى منتهى الجفاء والجفاف. سألها أبى مرة:

- الى أين؟

أجابت بكبرياء وقح:

- لا شأن لك بى. أنا حرة

لا عجب ، فالعجز الجنسى يذل الرجال. امنعها يا رجل.

- فعلا انت حرة

لكنه العجب ألا تنطبق السماء على الأرض وتشتعل الحرائق وتندك الجبال وتغمر السيول الأرض حين رأيت المشهد الحقير بعينى ، ثم حين تخاذل أبى عن حقه فى رجولته لمجرد أنه لايحب المشاكل فيعمى عينيه عن كل ما يمكن أن يسبب له الكدر.

صرخت بأعلى صوتى:

- لن تخرجى!!

قالت بجرأة وأبى يراقبنا دون انفعال وكأن الأمر لايعنيه:

- هل جننت؟ ماذا قلت؟!
- قلت انك لن تخرجى
- والله عال. وماشأنك أنت بى ياولد ، وما سلطانك على؟!

تكلم يا صاحب السلطان. تكلم وإلا سوف أقتلها هى الأخرى يوم أقتل وليد الحلوانى. الخيانة جزاؤها القتل. سوف أتركك وحيدا بعد ذلك وأغادر البلاد.

قال لى الأمير:

- أنت تجاوزت حدودك يا وديع
- ضع نفسك مكانى يا مولاى
- تعاطفت معك وأجبتك الى طلبك ، لكنك مصر على عصيانى
- ياسيدى لو لم أقتله بيدى فكأننى لم أنتقم
- لو لم أكن أحبك لطردتك من الجماعة ، فعنادك ليس له مثيل

انطلقت بعربة مسروقة تم نزع لوحة أرقامها حتى وصلت أمام باب الفيلا. بمجرد خروج وليد عاجلته بدفعة طلقات من رشاش بيدى وانطلقت هاربا بالعربة على أقصى سرعة. تصادف مرور شاب جرىء بعربته فى تلك اللحظة وشهد الواقعة. قام بمطاردة عربتنا حين اعترضتنا بالمصادفة سيارة أخرى فى عرض الطريق.

صدقت نبوءة الأمير ووقعت فى أسر الكفار. من المؤكد أن جرترود وكولونيوس سوف يتخلصان من أبى فى أقرب فرصة هاملتية ممكنة حتى يخلو لهما الجو. الحمد لله أننى نجحت على الأقل فى التخلص من الخائن الأول. ، ولن تهنئى طويلا بميراثك يانبيلة ، فسوف أجد وسيلة لحرمانك من التمتع به بعد خروجى من السجن بمشيئة الله.

****

ظللت أؤجل اللحظة الحاسمة التى نويت فيها أن أفشى سر خيانة عمى لأبى ، حتى قبض على. تملكتنى حسرة شديدة إذ حبست أنا وظل المجرمان طليقين. سوف أكتب لأبى خطابا من السجن أقول له فيه كل ما عجزت عن قوله فى مواجهته. سأطلب منه بوضوح قاطع ان يطلق أمى وإلا فلن أكون ابنه ان لم يفعل ذلك، لأنى سأضيفه الى قائمة الخونة الذين مازلت أنوى القصاص منهم حتى لو خرجت من السجن بعد مائة عام.

****

الأميـــــــــــــــر

****

أنا الأمير. أنا من يأخذ البيعة ويعطى الأوامر فتنفذ بلا تردد أو مراجعة. أنا من يطلب فيلبى نداؤه على الفور. أنا ممثل الخليفة فى الجماعة.. الآمر الناهى المطاع.

كل من يعيشون على أرض هذا البلد أصبحوا غنائم وسبايا لنا نحن المجاهدين لرفع راية الاسلام. كلهم من حقنا رجالا ونساء وأطفالا وشيوخ . أموالهم ومبانيهم ومزارعهم ومصانعهم أصبحت ملكا خالصا لدولتنا الاسلامية التى آن أوان قيامها. فليفرحوا بهزيمتنا فى موصل العراق ورقة سورية كيفما شاءوا، فالحرب بيننا وبينهم طويلة المدى ، ولو خسرنا جولة هنا أو جولة هناك ، فالنصر النهائى حليفنا بإذن الله حامينا وناصرنا. سوف نرفع راية الخلافة على كل ربوع البلاد، وسوف نوزع النساء والأطفال والأموال كغنائم على المجاهدين. لن نترك فى قلوبنا ذرة من رحمة أو رأفة تجاه أعدائنا الكفار.

سوف أهتم بنصيبى من الغنيمة بالغلمان ، فأنا أحبهم وأفضلهم على النساء. كنت صبيا صغيرا حين التقطنى عم مرشدى من على رصيف القطار بمحطة الاسكندرية فى ليلة شتاء عاصفة. لم يكن له ولد فتبنانى. هو الآن فى رعايتى وتحت حمايتى ولن يجرؤ مخلوق على الاقتراب منه طالما كنت حيا.

لم أعرف من هو أبى الحقيقى حتى اليوم. أبى الوحيد الذى عرفته هو مرشدى. كان يعمل شيالا بمحطة القطار قبل أن يعرف طريقه الى تجارة المخدرات ويعرف المال طريقه اليه ، فيندفع اليه اندفاع المحروم. ألحقنى بالمعهد الدينى وحصلت منه على الثانوية الأزهرية. لم تكن قدرته المالية تسمح له حينذاك باستكمال تعليمى حتى أحصل على مؤهل عال كما كنت أتمنى وأحلم. أنا أومن بشدة بأهمية العلم. الدول الغربية الديموقراطية تقدمت لأنها قدست العلم ، فسميناهم الكفار ورحنا نقدس أضرحة الأولياء. كل الأمم الاسلامية باستثناءات ضئيلة جدا مازالت ترتع فى غياهب الجهل والتخلف والاعتماد على الغرب فى التكنولوجيا ، بل وأيضا فى الطعام والشراب والكساء.

احترمت فى عم مرشدى مشاركتى الاهتمام بتعليمى قدر طاقته ، ولم يعنينى فى شىء أنه اتجه الى ممارسة الدجل أحيانا وتجارة المخدرات أحيانا أخرى. يكفى أنه رعانى وربانى وأنفق على من ماله ونفسه بعد أن التقطنى من الشارع.

درست سيكولوجية اللقيط وفهمت أننى شخص سيكوباتى رغم أنفه. ادراكى لهذه الحقيقة العلمية لم يدفعنى الى العلاج النفسى بقدر ما دفعنى الى الرغبة القاتلة فى الانتقام من المجتمع الذى لفظنى كما يلفظ الكلب برازه فى عرض الطريق. ما حصلت عليه من علم بجهدى الخاص فى مختلف الفروع التى طرقت باب معرفتها ، يعادل بل يتجاوز ما حصل عليه الجامعيون بمراحل عديدة ، سواء من خريجى جامعات الأزهر أو الجامعات الأخرى. وقد أثبتت التجارب والأيام والمواقف صدق ما أقول. أصبح أسلوب تفكيرى علمى عقلانى جعلنى أعرف تماما من انا وماذا أريد وماذا أفعل. أنا بكل وضوح رجل حاقد على مجتمعه كاره له يرغب بكل ما أوتى من قدرة فى الانتقام منه. هذه حقيقة لامفر من مواجهتها. أنا رجل يستتر وراء الدين فيما يقول ويفعل ، لكن الحقيقة أن أمر الدين لايهمنى فى شىء. هذا لايمنعنى أن أستغل المفاهيم الدينية الخاطئة التى أبثها فى عقول الشباب بعد أن أسيطر عليهم نفسيا وذهنيا فى تسخيرهم لخدمة أهدافى الانتقامية وغيرها من أهداف دنيوية تتعلق بالثروة والسلطة.

اذن فأنا على وعى تام بما أقول وأفعل. لا أغالط نفسى وأدعى التدين ، ولكنى أستغل الدين لتحقيق أهدافى ، فهو أسهل مطية تمتطى للسيطرة على عقل هذا الشعب الغبى. كل نقائصى فى هذه الحياة الفانية عوضتها بالقراءة وحب المعرفة . قرأت فى الأدب وعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ والجغرافيا والفقه والشريعة ودرست الأديان الثلاثة المنزلة. رغم ذلك لم أستطع التحرر من حقدى على هذا المجتمع الذى لم يقل لى من هو أبى ولا من هى أمى ،

ولماذا فعلا بى ذلك. تستر هذا المجتمع على مجرمين أنجبانى عقب لحظة نزوة عابرة ، ثم ألقيا بى الى الطريق.

أعلم جيدا أن العالم الوهمى الذى صنعناه والذى نتعامل من خلاله مع الآخرين ، هو عالم زائف، لكنى مستفيد منه . أساهم بكل ما أملك من فكر ووقت وجهد فى صناعته وتقوية دعائمه. قيادتنا هى الأخرى زائفة وكاذبة وتعرف أنها كذلك. تتستر وراء مقولات دينية ساذجة تخدع بها شعبنا الأمى المتخلف ، لكنى مستفيد من قوتهم وأموالهم وأنصارهم. أردد معهم القول بأننا "مشركون مادمنا نعيش فى دار الشرك ، فإذا خرجنا فنحن مسلمون."

قراءاتى المتفحصة عن الإسلام تزيدنى ثقة فى كذب جماعتنا بكل أطيافها وتوجهاتها ومواطنها. صدق من شبهنا باليعاقبة فى الثورة الفرنسية الذين نادوا بالحرية والإخاء والمساواة، وباسمها ارتكبوا أفظع الشنائع فى حق الأعداء والأبرياء، مثلما قطعنا نحن رقاب العباد ومثلنا بأجسادهم وأخذنا نشوط رؤوسهم بأقدامنا ونحن نهلل ونكبر ونردد أن الاسلام هو الحل.

فقدت واحدا من أهم رجالى. كان تابعا مخلصا لى على صعيد العمل الجهادى والتعاطف الانسانى. أذاقوه ألوانا مختلفة من التعذيب حتى يعترف على ويرشد عنى ، لكنه لم يفعل. هو الآن فى السجن، وسوف أضع خطة محكمة لتهريبه بمشيئة الله كما فعلت من قبل مع غيره. أخطأ وديع حين عصى أمرى لأول مرة لينتقم من خصمه بيده رغم تحذيرى له ، فوقع فى قبضة الكفار. سوف أضطر الى المغادرة الى مكان آخر لعمل ترتيباتى الجديدة لضمان استمرار نشاط الجماعة فى جو أكثر امنا وسلامة.

قدرى أن أكون إبنا غير شرعى لمجرمين تمتعا بقضاء شهوة عاجلة أدفع ثمنها ألما وعذابا وشعورا بالدونية وانعدام الأصل. حاولت كثيرا ان أضغط على عم مرشدى ليصارحنى بأى حقيقة يعرفها ويخفيها عن هذين المجرمين. فى كل مرة يقسم لى بأغلظ الايمان أنه لايعرف شيئا عنهما. تصاعدت ثورة غضبى مرة لعدم ثقتى فى صدقه ، فأطبقت بيدى على رقبته وكدت أقتله لولا أن أشفقت عليه عندما رأيت عيناه تجحظان وهو يكرر قسمه بأنه لايعرف شيئا عنهما..ثم ما الفائدة أن أعرفهما اليوم وقد أنكرانى أكثر من ربع قرن. أعتقد أن الفائدة الوحيدة هى أن أحرمهما من مواصلة الحياة فهما لايستحقانها.

جهاز استخباراتى لايقل كفاءة عن جهاز استخبارات الدولة. كل ما يدور فى القطاعات التابعة لادارتى تصلنى معلوماتها كاملة بكل التفاصيل مهما بدت غير مهمة. راوية هيكل ما زالت تحاربنا. كل يوم تزداد ضراوة فى هجومها علينا. لم يبق أمامى إلا أن أبعث بها لتلحق بأخيها حسام فى العالم الآخر. قالت فى آخر مقالاتها – باعتبارنا ارهابيين – ان الارهابى شخصية مريضة تتصف بالأنانية الفردية والنرجسية وفقدان القيم والكبر والتعالى. راحت تشرح البنية الداخلية للجماعة فى تحليل نفسى يقول ان هذه البنية تتمثل فى ثلاثية النحن العصبية وعلاقة أفرادها بها ، وفى العلاقة مع المرشد أو أمير الجماعة ، وفى علاقة الأعضاء فيما بينهم على مستوى النحن العصبية. وراحت تؤكد على أننا نعيش فى وهم احتكار الحقيقة مع اصرارنا على القطيعة الاطلاقية مع الأفكار التى تخالف أفكارنا.

تتساءل فى براءة كاذبة لماذا يقرر انسان أن يقتل آخرين لايعرفهم ، سعيا وراء هدف يستبعد أن يتحقق فى حياته ،واضعا نفسه خارج القانون ، مما يضاعف بشكل دراماتيكى احتمال أن يقتل أو يسجن، مع وضع أسرته أيضا قيد الخطر. نحن فى نظرها نرجسيون منحرفون مخادعون ، نزدرى الآخرين ولا نستطيع التعاطف مع الناس. أما الشباب الاستشهاديون الذين تسميهم بالانتحاريين ، فهم فى عرفها يريدون الخروج من الانسانى ليصبحوا كائنات خارقة، فالآخرة متأصلة فى عقولهم من خلال خطب الدعاة الذين يخترقون هاماتهم اللاواعية فى لحظة تكون فيها الحدود بين الأنا واللا أنا ، وبين الواقعى وغير الواقعى، وبين الحياة والموت، كلها مهتزة الى درجة يبدو معها فعل التضحية بالنفس فى النهاية أمرا سهلا جدا ،ويغدو مجرد خاتمة. فى هذه اللحظة يحتاج الموت المتخيل الى درجة يفقد معها الموت الفعلى معناه.

الحق أننى معجب بتحليلاتها رغم كراهيتى لشخصها ، وكم كنت أتمنى أن تلتقى بى وتدرسنى لتعرف ما هى حقيقتى التى كنت سأكشف لها عنها بلا تحفظ. أنا شخصية راديكالية غير قابلة للنقاش. لا أعرف كلمة اسمها المرونة. لا اقبل الرأى الآخر. أتمتع بدرجة شديدة من القسوة. لدى قدرة خارقة على إقناع أتباعى بما أريد ، وتلبيسهم معتقدات دينية أقررها لهم. كما أننى قادر على استثارة غرائزهم ومشاعرهم العاطفية والعدوانية ، والتركيز على فكرة الثواب الذى ينتظرهم عندما يقومون بتلك الأعمال الجهادية. أنا القائد الفذ الذى تخلى عن كل مافى الحياة من ترف حتى أستطيع إقناعهم بعدمية العيش فى هذه الحياة ، وبضرورة تغيير كل القواعد الاجتماعية الحالية، على أن يستبدل بها مبادىء الشريعة الاسلامية.

ان براعتى فى اختيار هذه النماذج لانظير لها ، فأنا أختار للعمليات الاستشهادية شبانا صغار السن متأثرين بفكر الجماعة وغير متعلمين وغير قادرين على الاندماج فى مجتمعاتهم أو منفصلين عن بيئتهم. هؤلاء الشباب يرون فيمن سبقوهم الى مثل هذه العمليات أبطالا يحتذى بهم ، إذ يحملون لواء الحق ويسيرون نحو تحقيق أهدافهم بشجاعة. هكذا تتأجج رغبتهم فى القيام بتلك الأعمال، فهم يحلمون بالشهادة لأنهم يمجدون تنفيذ أحكام الشريعة وتكبر لديهم الرغبة فى السير على خطى من سبقوهم وحصولهم على لقب البطل.

نحن نبيع لهم الأوهام لتعويض ما بهم من نقص وضعف ، كما نبيعهم كما كبيرا من المنافع الشخصية والسياسية والجنس والمغامرة والإثارة بالاضافة الى تحقيق رغبتهم الدفينة بالانتقام من مجتمعاتهم.

هكذا نجد الكثير من الشباب التائه المحبط يسارع بالانضمام الينا رغبة منهم فى تحصيل الأموال بالاضافة الى الاشتراك معنا فى المتاجرة بالأعضاء البشرية والمخدرات والأسلحة. نحن الملجأ الآمن لكل من يعانى من اضطرابات نفسية تتمثل فى حب السيطرة والشهرة والجنس والخروج عن القواعد الانسانية وعدم الالتزام بالقانون المدنى الذى وضعه الكفار.

علمت من أجهزتى النشطة أن ألطاف قد باعت صقر وتزوجت بعد مقتله. هكذا المرأة دائما لاتتبع الا مصلحتها ولا تعرف الا منفعتها. الدليل على ذلك أن راوية حين هاجمها خطر العنوسة كفت عن التدلل على الرجال وراحت تنصب شباكها حول فريد زين الدين. فريد سيقع بسهولة فى شباكها ، فهو رجل ساذج مسالم يعيش فى عالم كله خيالات وشعر وقصص وروايات.

يقر منهجى العلمى فى التفكير أننا ارهابيون نضحى بحياتنا فداء لهدف محدد، فما بال هؤلاء المجانين من أمثال صقر الاسكندرانى الذين يضحون أيضا بأنفسهم فداء لهدف محدد. اذن فلا فارق بيننا. كلنا مجانين ، وما هذه الحياة الا ساحة يتبارى فيها العقل الانسانى فى الحط من قدره أحيانا وفى الغائه فى بعض الأحيان.. زوجتك ياعزيزى الفدائى – كما كنت تسمى نفسك – أخذت مكافأتك عن مقتلك وصرفتها على تجديد أثاث بيتك لتستقبل فيه رجلا غيرك تنام الآن فى حضنه . يلعق ثدييها ويمتص رحيقهما ، فأين أنت الآن يابطل؟..

القبض على وديع أحدث شيئا من الارتباك فى صفوف جماعتى. حالة من عدم الرضا وقلة الانضباط بدأت ألحظها عليهم. من واجبى أن أعدل بين المجاهدين فى أداء الحقوق وتوزيع الواجبات والرفق بهم وحسن الظن بهم ونصحهم والحرص على سلامتهم وإعدادهم ماديا ومعنويا والحفاظ على أسرار الجماعة ووحدتها والسعى الى ضم مجاهدين جدد اليها. لذلك سوف أقف بجانب وديع بعد أن أحرره من سجنه لينتقم من عمه الجبان. قال لى عنه كلاما حقيرا. يوم أفشى الى هذا السر كان بصحبتى غلام أمرد جميل يقبع فى حضنى. بدت على وديع علامات الاستنكار والغضب. قلت له قبل أن يسألنى عن شىء:

- لاتتدخل فيما لا شأن لك به
- آخر ما يخطر ببالى أن تكون لوطيا
- وهل يستوجب ذلك أن تعصانى؟
- طاعتك مقدسة يامولانا ، فضلا عن أنى أحبك
- سبق أن فشلت فى زيجات ثلاث ، ولم أجد سلواى الا هكذا

- **أنت غير مطالب بتبرير ما تفعل يا مولاى**
- **ومن حقى عليك طاعتى ونصرتى وإحسان الظن بى وكف اللسان عنى والدعاء لى وعدم إفشاء أسرارى**
- **أخشى عليك أن تعزل عن الولاية لو أشيع عنك الفسق**
- **لاتخف فمركزى فى الجماعة أقوى مما تتصور.هل قرأت آخر مقالة كتبتها راوية عنا؟**

****

أنا الأمير. القائد. المعلم. الآمر. الناهى.....
أعانى الخوف والقلق والشعور بالذنب والتوتر من كل الأشياء المجهولة فى هذه الحياة، فأم وديع لاتختلف كثيرا عن أمى. يعيش خيالى فى كل لحظة مع الجنس المثلى والخمر ودخان الحشيش والليل والنهار والشمس والقمر واللقطاء والحزن والبكاء والفراغ الجهنمى بداخل الصدر والقلب والنفس والروح، وما يتولد عن ذلك كله من رغبة فى الفرار من الحياة لشدة حبى لها.

****

صقر الاسكندرانى

****

سأتكلم هنا عن صقر الاسكندرانى كما لم يتكلم عنه وديع أو تتكلم عنه راوية أو غيرهما.. عند بداية تكوينى مررت بظلمات ثلاث هى ظلمة البطن وظلمة الرحم ثم ظلمة المشيمة. بعد ذلك مررت بمراحل خلق أربع هى التراب فالطين فالحمأ المسنون فالجسد. وأخيرا مررت بمراحل الحياة الأربع وهى الموت فى عالم الذر ثم الحياة فى الدنيا ثم الموت فى عالم البرزخ ، وأنا الآن فى انتظار نهايتى الأبدية: فإما أن أخلد فى الجنة وإما أن أخلد فى النار ، والله وحده أعلم.

كان أهم قرار اتخذته فى حياتى من بعد موتى هو العودة الى الدنيا من جديد، ولا يسألنى أحد كيف يكون ذلك أو كيف كان ، وهل عدت الى الدنيا بروحى فقط أم بروحى وجسدى معا كما لو كنت بعثت من الآخرة. ذلك لأننى لست أعرف إجابة منطقية لهذا السؤال ، فالله لم يجعل العقل أداة لمعرفة سر الحياة والموت ، ولكن ليتدبر فى آيات الله فى كونه، وقد قيل "ان الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا".

أما إذا أردنا الكلام فى حقيقة استشهادى ، فإننى لم أمت ولكنى قتلت، فالموت خروج الروح من الجسد وبنيته سليمة ،لكن القتل هو خروج الروح من الجسد بعد هدم بنيته ، وهذا مافعله بى الارهابيون. عموما فموتى قتلا هو أمر طارىء لأنه سوف ينتهى يوم القيامة، وأنا مطمئن لأننى فى لحظات احتضارى تلقتنى ملائكة الرحمة وبشرتنى خيرا.

بمجرد نزولى الى العالم الأرضى وتعطشى الشديد لرؤية أحبائى وأعدائى فى دنيا الأغيار ، والتحاور الحيادى معهم بعد أن زالت كل الأسباب القديمة للمحبة والعداء، كنت فى حيرة من أمرى بأيهم أبدأ اللقاء. فى النهاية رأيت أن أبدأ مع قاتلى حتى لو لم يكن هو الذى قتلنى بيده ، فهو أولا وأخيرا عضو فى التنظيم الارهابى القاتل.

سألت عنه فقيل لى انه مسجون. كنت أعرف ذلك إذ قبض عليه بعد أن قتل خصمه الدكتور وليد الحلوانى لثأر شخصى هزيل ، لم يكن يستدعى القتل بأى حال. عرفت مكان سجنه فذهبت اليه وطلبت من المسئولين زيارته. أخبروه أن هناك زائر ينتظره اسمه صقر الاسكندرانى. اعتقد أن هناك خطأ فى الأمر ، فجاء لمقابلتى وهو على يقين من صحة اعتقاده. لما رآنى فزع فزعا شديدا ، بل انه صرخ كالنساء وسقط مغشيا عليه. بعد أن أفاقوه أصابته رعشة شديدة. كان ينظر الى وأسنانه تصطك فى بعضها ، وأنا أنظر اليه مبتسما فى هدوء. سألنى ذاهلا:

- من أنت بالله عليك؟
- أنا صقر الاسكندرانى
- ولكن كيف؟!!
- ليست هذه قضيتنا يا صديق العمر
- ما القضية إذن؟
- ألا تعرف ما القضية؟
- نعم لا أعرف ولا أفهم شيئا وعقلى يكاد يذهب عنى
- ألا تفهم لماذا قتلتمونى؟
- أنا لم أشارك فى تلك العملية
- لا أصدقك ، وحتى لو كنت صادقا فأجبنى عن سؤالى
- لا أعرف
- بل تعرف وستعترف أمامى وإلا مزقتك إربا ولن ينقذك منى احد
- الحقيقة أن الجماعة تعتبرك كافرا

- هذا رأى الجماعة. لكن ما رأيك أنت يا صديقى الذى لازمنى طول العمر؟..هل كنت ترانى كذلك؟
- أنا أدين بالولاء للجماعة وبالطاعة للأمير دون مناقشة ، وكل منهما يعتبرك أنت وكل زملائك من الضباط والجنود كفار فى خدمة حكام كافرين
- الولاء والطاعة يلغيان عقلك يابشمهندس بهذه السهولة؟
- ارحمنى أنا لا أستطيع مواصلة جدالك

كان ارتعاشه يزداد ، وأسنانه تصطك فى بعضها بقوة ، بل إنه بال على نفسه وسال بوله أمامى على الأرض.

- أميرك يحمل الثانوية الأزهرية وانت تحمل بكالوريوس العلوم بتفوق، فكيف استطاع أن يلغى عقلك؟.. عموما دعنا من الأمير والجماعة. أنا أسألك أنت الآن. هل تعتقد أننى كافر وأننى أستحق القتل؟
- لا أعرف. اتركنى أرجوك. أريد العودة الى زنزانتى
- لن تستطيع أن تتحرك من مكانك. لقد عدت من برزخى وقد أمدنى الله بقوة خارقة تستطيع أن تسحقك فى ثانية، ولن أرحمك مالم تعترف لى بالحقيقة..تكلم
- سأتكلم.. الحقيقة أننا كلنا كذابون. أنا والأمير والجماعة.نتحرك بدوافع ذاتية بحتة ، معظمها تقوم على الحقد والكراهية والانتقام وحب القتل والدماء
- والاسلام هو الحل؟!
- عبارة نخدع بها الناس
- ودولة الخلافة الاسلامية؟
- وهم نبيعه ونعلم أنه وهم
- فلماذا التمسك به؟
- حتى نستطيع الاستمرار فيما نحن عليه
- كم من المال جنيت من جرائمك اللاانسانية؟
- آلاف الدولارات الأمريكية والجنيهات المصرية
- ماذا أفدت بها؟
- تحررت من عبارة أبى التى دمرت حياتى
- أى عبارة؟
- يابنى أنا يامولاى كما خلقتنى
- وحسام هيكل؟
- شأنه شأن كل الضحايا
- والدكتور وليد؟
- ثأر شخصى
- تقررون الحياة والموت للبشر بناء على أكاذيب وأوهام تخدعون بها الناس!!
- نعم..هذه هى الحقيقة
- وهذا هو رأيك النهائى الذى لاتراجع فيه؟
- نعم..هو كذلك
- لم أكن أريد أن أسمع منك أكثر من ذلك أيها الجبان.

ثم تركته غارقا فى بوله وعرقه وانصرفت.

****

راوية.. يامن كنت دائما فى قلبى تتجولين فى غرفاته الأربع وتسكنين فى كهوف ذكرياتى. كنت شريكة لى فى غلطة عمرنا الكبرى. عجزنا معا عن غرس حبك فى قلبى بقدر ما نجحت أنت فى غرس حبى فى قلبك نابضا طول العمر ، وبعد انتهائه.

كنت أكثر صدقا من غيرك معى ومع نفسك ، فحرمتنا من العذاب الجميل الذى يروى بالحب أشجار الشوق والحنين والانتظار.

- من؟!!..
- ....
- بسم الله الرحمن الرحيم. اعوذ بالله من الشيطان الرجيم. من أنت ؟
- لاتفزعى يا راوية أنا صقر
- صقر مات..من أنت؟!!
- صدقينى أنا صقر..حبيبك مع إيقاف التنفيذ
- وكيف جئت من العالم الآخر؟
- لا أعرف
- ولماذا جئت اذن ؟
- لو عرفت كيف لعرفت لماذا
- لابد أنك جئت منتقما ممن خانوك وممن قتلوك
- والله لاهذا ولاذاك.تكوينى الحالى لايسمح بوجود مثل هذه المشاعر
- تركتنى فى الدنيا ثم تأتى الى الآن وأنت على هذه الحال!!..ماذا تريد منى؟
- أما زلت تحبيننى يا راوية؟
- ....
- لاتريدين الاجابة لكنى أعرفها عن يقين
- قل لى ماذا تريد منى الآن أرجوك
- شيئا واحدا لاغيره
- ماهو؟
- أن أقبلك
- أتترك عالم الملكوت وتأتى الى عالم الملك لأجل قبلة؟!
- هذا ماحدث. المهم أن تكون لديك نفس الرغبة
- وماذا نفعل لو كانت لدى نفس الرغبة مع استحالة تحقيقها؟
- لماذا؟
- لأننى على وشك الارتباط برجل آخر
- أعلم هذا وأؤيده وأباركه فهذا الرجل الطيب يستحقك
- رغم هذا..تعال ياحبيبى ، فلنعش معا هذه اللحظة.

وكانت لحظة العمر ، وقبلة العمر.. لم يكن هناك ما يمكن أن يكون غير ذلك أو أكثر من ذلك.

****

طرقت الباب بيدى.فتحت لى ألطاف. ظلت تنظر الى طويلا ثم سقطت مغشية عليها. جاء زوجها فحملها وأسرع بها الى الداخل وهو ينظر الى فى خوف .رش على وجهها عطرا أفاقها.سألها وهو ينظر الى فى فزع وارتباك وذهول:

- من هذا.. أتعرفينه؟

صرخت بصوت محبوس:

- لا أعرف.. لا اعرف

قلت لها بهدوء:

- اهدئى يا ألطاف. أنا صقر . زوجك السابق

قال علاء فى دهشة فائقة:

- لكن صقر مات
- أعرف
- فمن أنت إذن؟..تكلم قبل أن أستدعى البوليس

- لاداعى لذلك ياعزيزى. لن أسبب لأحدكما أى أذى
- اذن فماذا تريد منا؟
- أرى سامح وسماح

قال لها علاء بلهجة المضطر:

- أحضرى الأولاد يا ألطاف

تراجعت الى غرفة الأطفال وهى تمشى بظهرها وتبحلق برعب فى وجهى. عادت بهما بسرعة. أخذتهما فى حضنى ورحت أقبلهما بشغف ومحبة اختزنا فى قلبى عمرا. سألانى فى براءة لماذا ذهبت وتركتهما وهل سأعود اليهما من جديد..وأسئلة أخرى كثيرة. قلت لهما:

- اسمعا كلام ماما ألطاف وبابا علاء حتى أحبكما

هدأ الرجل الى حد ما. أما ألطاف فقد ذابت فى خجلها وغلب عليها التوتر الشديد. كانت فى شدة الحيرة.

- لاتخافى يا ألطاف ولا تخجلى ، فأنت لم ترتكبى ذنبا

صاحت بعفوية كمن عثرت على عوامة نجاة فى بحر غريق:

- ألست غاضبا منى؟
- أبدا. أنا مؤمن بحريتك وحقك فى ممارسة حياتك كما تريدين، وزواجك من رجل آخر لا يعنى أنك ارتكبت خطأ

تنفست بعمق وارتياح وقد بدأت تتمالك نفسها.

- ربنا يخليك يا صقر
- يخلينى كيف؟..لقد أخذنى وانتهينا
- اسمح لى أن أقبل يدك.

****

ذهبت الى المنطقة العسكرية المختصة. طلبت الذهاب الى الشيخ زويد. أمدونى بعربة وسائق ومرافق. فضلت أن أقود العربة بنفسى على أرض وطنى.وطنى..وطنى..حتى وصلت الى موقع استشهادى.

ركعت على الأرض..قبلت تراب سيناء.

****

سعيد سالم

الاسكندرية فى 5 يونية2018

مراجع استعنت بها:

1- المتأسمون الجدد -د. رفعت السعيد
2- الاسلام وأصول الحكم- الشيخ على عبد الرازق
3- طبائع الاستبداد- عبد الرحمن الكواكبى
4- محنة التنوير-د. جابر عصفور
5- خرافة اسمها الخلافة- نبيل هلال
6- اعتقال العقل المسلم- نبيل هلال
7- الاستبداد ودوره فى انحطاط المسلمين- نبيل هلال

****

تعريف بالكاتب سعيد ســـالم

E mail: saidsalem62@yahoo.com,saidsalem170@hotmail.com

-سعيد محمود سالم.... من مواليد الاسكندرية 1943 - اسم الشهرة: سعيد سالم-عضو اتحاد كتاب مصر.رقم العضوية 400

-عضو اتحاد الكتاب العرب.رقم العضوية 624-عضو لجنة النصوص الدرامية بالادارة المركزية للإذاعة والتليفزيون بالاسكندرية سابقا-عضو هيئة الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية-عضو أتيليه الكتاب والفنانين بالاسكندرية

-عنوان المنزل 5شارع على باشا ذو الفقار شقة 10 بمصطفى كامل.الاسكندرية-

تليفونات:المنزل 035462869 الموبايل01224390259 -المؤهلات:1-بكالوريوس الهندسة الكيمائية 1964.كلية الهندسة.جامعة الاسكندرية

2-ماجستير الهندسة الكيمائية 1968. كلية الهندسة.جامعة الاسكندرية-المهنة: مهندس استشارى بالمعاش

•• مجمل أعمال الكاتب حتى عام 2018

(36)عملا مابين الرواية والمجموعة القصصية بخلاف المسرح والدراما التلفزيونية والاذاعيةوغيرها

1-فى مجال الرواية: (23) روايـــــة2-فى مجال القصة القصيرة: (11) مجموعة قصصية

-فى مجال الدراما الإذاعية: عشرات المسلسلات والسباعيات والسهرات الدرامية بإذاعتى القاهرة والاسكندرية.

-فى مجال المسرح::الجبلاية (كوميدية)أدب ونقد فبراير2016 – عاليها واطيها (كوميدية)أدب ونقد مارس 2017

فى مجال النقد الأدبى:مجموعة دراسات عن أعمال بعض الكتاب المصريين والعرب نشرت بمجلات وجرائد مختلفة.

3-فى مجال المقالة:- مجموعة مقالات ثقافية وسياسية واجتماعية نشرت بمجلات وجرائد مختلفة.

4-_ كتاب بعنوان: " نجيب محفوظ الإنسان"..الهيئة المصرية العامة للكتاب2011

5- كتاب نقدى بعنوان"الاسكندرية قبل25يناير طوفان من الابداع المتألق"..مكتبة الاسكندرية2015

6-فى مجال الدراما التلفزيونية:1-مسلسل كوميدى "عاليها واطيها"من انتاج صوت القاهرة عام2008 من اخراج وائل فهمى عبد الحميد عن رواية عاليها واطيها للمؤلف.2-مسلسل"المقـــلب" عن رواية المقلب للمؤلف و الصادرة عن المجلس الأعلى للثقافة عام2009..تحت التنفيذ .

•• أهم الجوائز التى حصل عليها الكاتب

1-جائزة إحسان عبد القدوس الأولى فى الرواية لعام1990 عن رواية "الأزمنة" الصادرة عن روايات الهلال بالقاهرة.

2-جائزة الدولة التشجيعية فى القصة القصيرة لعام95/94 عن مجموعة"الموظفون" الصادرة عن مطبوعات اتحاد الكتاب العرب بدمشق.3-جائزة اتحاد كتاب مصر فى الرواية لعام 2001 عن رواية "كف مريم".اتحاد الكتاب بمصر.4- جائزة اتحاد كتاب مصر فى الرواية لعام2010 عن رواية المقلب.المجلس الأعلى للثقافة5-جائزة الدولة التقديرية فى الآداب لعام 2012 / 2013 -6 وسام الجمهورية للعلوم والفنون من الطبقة الأولى عام2013 7-رشح لجائزة النيـــــل 2017

مجالات نشر قصصه القصيرة:

على مدى مايقرب من خمسين عاما نشرت له مئات القصص القصيرة والمقالات فى الجرائد والمجلات المصرية والعربية :

الأهرام-الأخبار-أخبار اليوم-أخبار الأدب-الجمهورية-المساء-أكتوبر- حواء-مايو-الهلال-الثقافة-الكاتب-إبداع-آخر ساعه-روز اليوسف- القصة- عالم القصة-البعث-تشرين- الموقف الأدبى-الآداب-الثورة-الأسبوع الأدبى-البيان-الأنباء- العربى-الفيصل-المجلة-الحرس الوطنى-الشرق الأوسط-الدستور- الرأى-اليوم السابع-صباح الخير- الكويت-البحرين الثقافية-الرافد.

الروايات (23روايه)

1-جلامبو جماعة أدباء الاسكندرية 1976-بوابة مورو جماعة أدباء الاسكندرية 1977- 3 -مجنون أكتوبر الهيئة المصرية العامة للكتاب 1979-4-آلهة من طين الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985 طبعة أولى- دار الجليــل بدمشق 1986 طبعة ثانية

5-عاليها أسفلها وزارة الثقافــة بدمشق 1985 طبعة أولى ثم دارالمستقبل بالقاهرة 1992 طبعة ثانية بعنوان"عاليها واطيها" ثم الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995 طبعة ثالثة 6-الشــرخ دار طلاس بدمشــق 1988 -7-الأزمنــة روايات الهلال بالقاهرة 1992

8-الفلــوس دار المستقبل بالقاهرة 1993 -9-الكيلو 101 دار المستقبل بالقاهرة 1997 طبعة أولى - الهيئة الهيئةالمصرية العامة للكتاب 1999 طبعة ثانية-10-كف مـريم اتحاد كتاب مصر طبعة اولى 2001ثم مركز الحضارة العربية طبعة ثانية 2017 -11-حالة مستعصية روايات الهلال 2002 -12- الشىء الآخر دار ومطابع المستقبل بالفجالة ومكتبة المعارف ببيروت 2004 - 13-المقلب بالمجلس الأعلى للثقافة2009- 14-الحب والزمن نشرت على حلقات بجريدة الدستور عام2007 ثم بروايات الهلال فى يوليو2011 ثم طبعة ثانية بدار غراب 2018-15 -الفصل والوصل"هيئة الكتاب2016"- 16-استرسال..مطبوعات الرافد بالشارقة عدد ديسمبر2016 وطبعة ثانية دار المعارف2017-17قصة حب مصرية... روايات الهلال نوفمبر2017- 18مذكرات فتاة لم تعثر على عريس... 2018(دار المعارف)19- صعاليك الأنفوشى 2018 هيئة الكتاب20- أعيش.. 2019المطابع الاميرية تحت النشر -21- هذيان 2018 دار المعارف. -22-رحلة الصعود والهبوط. 2019دار الشروق

المجموعات القصصية (11مجموعة قصصية):

1-قبلة الملكة اتحاد الكتاب العرب بدمشق 1987 2-الموظفون اتحاد الكتاب العرب بدمشق 1991

3-الجـائزة قايتباى للطباعة والنشر 1994- 4- رجل مختلف الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995

5-الممنوع والمسموح مختارات فصول 2002

6--أقاصيص من السويد هيئة الكتاب 2005وطبعة ثانية دار المعارف 2017

7- قانون الحب الكتاب الفضى 2006

8-هوى الخمسين نهضة مصر 2011

9- الكشــف. هيئة الكتاب 2013 10-رحيق الروح المجلس الأعلى للثقافة 2017

-11- المعضلة الكبرى..مختارات قصصية تحت النشر 2019 هيئة قصور الثقافة.